سلسلة كشف حقيقة الوهابية

١

الرِّياضُ النَّديَّةُ
في الآباءِ العَليَّة

بقلم

عبد الله محمد عكور

(قصيدة الوفا لوالدي المصطفى للدكتور محمد سليمان فرج الأزهري)

يا أطـهرَ الناس عبدَ الله يـا أملـــي أنت الوسيلةُ للمخـتار يشفع لـــي
أنت المبارك قد كُرمـــــتَ مـن أزل أهــدى لك اللهُ ابـناً سيدَ الرســل
يـا والـــدَ الحبيبِ الحقِّ ســـــيدِنا طه الرؤوفِ شفيع الخلق من وجـل
قـد خصَّـك اللهُ بالتشريفِ مرتبــةً فـوق الثريـا لسرٍّ فـيك مشـــتمل
اخـتارك الله للمحبوب والـــــــدِه فنلتَ أشرف مـولـود ومكتـــمل
وحـزت كلَّ كمـــالات وأعظمِهـــا فضلَ الأُبـوَّة للمخـتار فـــي الأزل
أنت المطهَّر شعَّ الـنُّورُ مؤتلقـــــاً على جبينك بُشرى مـولد الأمـــل
منك الرسولُ أتى للكـون مرحمـــــةً فصاغك اللهُ محفوظـاً من الخـــلل
أنت الذَّبـيحُ الــذي نلتَ الفخـــارَ بمـا قد قاله المصطفى ثُنِّيتَ بالرسل
برئتَ مـن كلِّ شِرك ســـيِّدي أبــدا فلم تخرَّ إلى عزى ولا هُبـــــــل
وقـد نشأتَ على التَّوحيدِ متَّبعـــــا خطوَ الحنيفيَّة السَّمحا بـــلا زلل

وبـالعنايـة قـد رُبِّيتَ فـــي أدب ... وصانك الله من فُحش ومن زغـل
سماك شيبةُ عبدَ الله منقبـــــة ... تنبي عن الفـطرةِ الأنقى بـلا علل
وكنت آثر أبنـــاءٍ حظيت بمـــا ... لم يحظَهُ ولدٌ مِن حُبه الجـــزل
قد عشتَ ذا ورعٍ في كل مرحلـــةٍ ... من الحياة وجانبتَ الهوى الوحـل
واللهُ بالفضـل إتمـــاماً لنعمتـه ... لأجلِ رحمتهِ المهـداةِ مـن أزل
أحياك ربُّك والعصماءَ آمنـــةً ... رفعاً لقدْركما في أشرف النُّـــزل
لتنعُما بسنا الإيمان منزلـــةً ... عظمى ودينُكما التوحيدُ فابتـهل
وفزتما من رضاء الله أن جعـلت ... طاعـات طه لكم من أفضل العمـل
يا سيدي يا أبا المختار معـذرةً ... فقد أساءوا وقالوا فيك بالخـطل
هذا الهراء الذي يهذي به خـرِفٌ ... بساحةِ المسجدِ المعمورِ في خـذل
ومَن تجاسر بغياً في رسـالته ... رسالةِ السُّخف والتَّضليل والدَّجـل
ونال زوراً وبهتاناً مكافـأةً ... على العُقوق وإيذاءٍ بـلا خـجل
آبـاءُ طـه إلى المعصوم آدمِـهم ... فآزوا بنصِّ "خيارٍ" صيـن مـن علل
وفي " تقلُّبك " الآياتُ ناطقـةٌ ... بأعظمِ المدحِ فاهنأْ في المـلا الأُول
يخشى الألوسيُّ كفراً للأولى اجترحوا ... غير النَّجـاة لنور القلب والمقـل
لـذا فـآزرُ عـمٌ للخلـيل بمـا ... قـد بيَّنَتْ علـماءُ البحث والنِّحـل
فالعمُّ صنو أبٍ فـي الذكر مشتهـرٌ ... كمـا أتى بحديثٍ صـحَّ فـامتثـل
والعُرف يجري على استعمالِ ذلك فـي ... فحوى الخطابِ كتـابَ الله فلتسل
فالوالدُ الطاهرُ المشهـور تارخٌ فـي ... تحـقيقِ نسبتِه من أوثق السُّـبل
لذا الخليلُ دعا حقاً بمغفـرةٍ ... لـوالـديـهِ بـإبـراهـيم فاعـتزل

أمَّـا أبـوه الـذي مـنه تبرأ فـــــي نصِّ الكتـــاب فغيرُ الوالـــدِ الفضل
كذا الحديثُ الذي يُبدي تســـاؤلهم أبـي أبـوك علـى التَّأويـــل لا الدَّخَل
فالعـمُّ مقصِدُه إنْ صحَّ منطقُـــــه وليـس والـــدَه الـمعنيَّ فـارتحـــل
قـد مـات والـــدُه مـن قـبل مولـدِه ولـم يعاصـرْ نـزولَ الـوحيِ للأجـــل
هـذا أبـو لهب يُجـزى بصـــالـحـةٍ بعتــق جاريةٍ بشرى على عجـــــل
يخفِّف اللهُ عــنه يــومَ مــولـــــده كما أتـى فـي البخـاري مضرب الـمـــثل
فكيف مـن قـد أتـى من ظهره أتُـرى يَصلى بـنارٍ ولــم يكفـر ولـم يحـــل
فـالحقُّ أنَّ نجـــاةَ الـوالديـــن لـــها أدلةٌ ظهــرت كالشَّمس فـي الأُصـل
على الحنيفيَّةِ السَّمحا و فترتهـــم واللهُ أحياهـما في صـادق التُّـقـــل
واللهُ في محكم التنزيل أخبرنـــا بعـدلهِ عـن سواءِ القِسط لـم يَمِـــل
فـلا يُعـذِّبُ مَن لم تأته رســـلٌ مصداقَ قــول "وما كنا" بـلا جـدل
فليـتقِ اللهَ مَـن يبـغي مجـادلـةً بالخـوض في والديـه مـوضـع المقـل
هل يستطيع امرؤٌ يُبدي معايبَ مَن صار ابنُه ملِكا مـن قـادة الـدول
فكيف أفضلُ خلقِ اللهِ والـــدُه يُرمــى بنارٍ ولـم يُشرك بـلا محـل
أيُرحمُ الخلقُ بالمختار قاطبـــةً ويُحـرمُ الـوالدان الفـوزَ فـلتقـل
ويشفَعُ الابنُ للعـاصين كلِّـــهم ويـتركُ الـوالديـن صفـوةَ الـمـثل
والله قـد وُعـد المختـارُ موعـدة ألَّا يسُاءَ بـذي التوحيـد فـامتـثل
وسـوف يُعطـيك إكراماً لأمتـــهِ فهل سيرضى سِوى الفِردَوس فاعتدل
وهل يصـدق أن ينساق ذو نظـــر فضلا عن العالم المسئول فانتقـــل
اللهُ يلعنُ مَن يؤذي الرسولَ ومَـن يرضى بقولـةِ مأفونٍ و منخـــذل

أينـــبزون أبـــاه والنَّبـي أبـــى أن ينبز ابـن أُبيٍّ وهـــو في الوحـــــل
وقـــد أراد ابـــنه للأبِ مرحمـــــةً من الرسول ولو بقميصه الوســـــــل
فلـم يـعـــارض رسول الله رغبتَـه وهـو المنافـقُ بالتأكيد والـــــــنزل
فكيف يجرؤ من يدري عواطـــفه لوالديـــــه على التكـــــفير بالجـدل
ويُعـلنُ الأمـرَ إرجـافـاً وشقشقةً بلا حياءٍ و لاخوفٍ ولا وجـــــــل
بأنَّ والدي المـختار قـد خرســـت أفواهـــــهم بسـعير النار في غـــــلل

ولا يُطاوعُني نُطقي بما قَذفـــوا أحبابَ قلبي وروحي مَعقِدَ الأمل
فعندما عَلِم المختـارُ عن نفـــرٍ يتلون "تبت" بقصْدِ اللمز والحيَل
قال الحبيبُ فلا تؤذوا بطعنِكُـمُ قـرابتي فتأمَّـلْ ذاك وامتثـــل
لذا يقـــولُ أبـو بكـرٍ أحبُّ لنـا أن يُسلمَ العمُّ مـن أهـلي ومُنقبلي
أَيطلُبُ المصطفى أجراً لدعوتِـه صفوَ المـودَّة في القُربى بلا بـدل
ويهرفُ المسلمُ المفروضُ طاعتُه بأثقلِ القولان يَرمى على جَـــبل
وهـلْ يكونُ محباً من تُسـاورُه تلك الشكـوك فيُبديها بلا خجل
وهـل يسوغُ لمن فرضٌ محبـــتُه وحبُّ عترتـهِ والصَّحبِ والنســل
ترديدُ قـولٍ يمسُّ الوالديـن لكي يُشاعَ في الناس هذا الأمرُ بالخطل
وما هناك دليلٌ قـاطعٌ أبـــداً بل هذه شُبَهٌ مِن زَيْـغ مختبـل
علماً بـأنَّ حبيبَ الله قال لنـا فلتدرؤا الحدَّ بالشُّبُهـاتِ والحيل
وفي الأصولِ إذا أخطأتَ تبرئـةً خيرٌ من الحـدِّ في ظـنٍّ بلا كـلل

وقد أُمرنا بحسن الظنِّ في ورعٍ ... مع العدوِّ فقلْ لي كيف شأنُ ولي

فلينتهِ المسلمُ العاصي بقَولتِه ... مستغفراً ربَّه من أَقبَح الزلل

أما الذي يتْبعَنَّ قولاً بغير هدى ... لذي الفصاحة والتدليس بالجدل

فقل له قد تَبعتُ القومَ في شُبه ... تهدي إلى الطَّعن والحرمان والفشل

إن قال زاعمُهم في العِلم حجتُنا ... هذي نصوصٌ بأيدينا بلا ملل

وهو اجتهادٌ لنا أجرٌ على خطأٍ ... فقل لهم قد أصيب القلب بالعِلل

فكيف تفهمُ نصاً وهو مُشتَبِهٌ ... من غيرِ أهلِ رسوخِ العِلمِ والعمل

أليس هذا جفاءٌ في محبَّتِه ... وليس مجتهدٌ قد قال بالخطل

فكيف يلقَون خيرَ الرسل منقذَنا ... بأيِّ وجهٍ وهم يَرضون بالخذل

فمن يقول بهذا القولِ قد عَميت ... منه البصيرةُ والتفكير في شلل

فاهجرْ سبيلَهمُ واسلكْ سبيلَ هدى ... إجماعَ أهل التُّقى والنور والمثل

أيَفرضُ الدينُ للآباء بِرَّهمُ ... ويجعلُ الشُّكرَ عرفاناً بلا مهل

فكيف برُّ حبيبِ الله قدوتِنا ... بوالديهِ وفاءً يا أخا العذل

وأين فضل دعاء المصطفى لهما ... وهو المقرَّب عند الله بالسبل

يقول خالقنا فضلا ومرحمةً ... هيَّا ادخلوا جنتي معهم بلا زلل

فكيف أكرم رسل الله يدخلها ... ووالديه بعيداً عنه فلتقل

وأنتِ يا أمَّ خيرِ الخلق معذرةً ... فقد تطاولَ بعضُ البهم بالخبل

أَسعَدتِ كلَّ بني الدُّنيا بمولِدِ مَن ... قد جاء للكون بالآيات والمثل

لذا يقول شفيع الخلق عنكِ أنا ... رؤيا لأمي فقد أُلهْمْتِ كالرُّسُل

فيا أُحيبابَ قلبي جئتُما شرفاً ... للكون بالمصطفى المبعوث للدول

قد نلتما من فيوض النور ما وصلتْ به العطيَّـــة للمـقدور من أزل

نفسي بحبكما حقاً لقد شُـــــغفت والروح هامت بكم يا أطهر الملل

مني السلام عليكمْ في الجنان فـلا تَنسَوا محبَّكمُ في الموقـف الجـلل

يا ربِّ فاغـفرْ لنا فضلاً وهبْ كرماً ووالــدينا رضاءً حقِّقَــنْ أملــي

واجعــلْ حبيبَـك عني راضياً أبدا حتى أراه بعيـن الـروح والـمقــل

ولَّـهْـتَـني بغـرامٍ فيـه يسُـــعِـدُني أكـرمْ بحسْنِ ختـامِ القول والعمل

يا ربِّ صلِّ على طه وعترتِـــــــه ووالديـه مـع الأصحــابِ والأُوَل

والحمد لله في بَـدءٍ ومُختـتـــــم والشكـر لله أُزجيه مع الســـؤل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله محلِّي جِياد الأفهام، بعِقد معرفة قدْر المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، ومجلِّي سلامة الأذواق، بشهود تيجان العزة علىٰ هامة من له الشرف علىٰ الإطلاق، ومُعجزِ العقول عن إدراك كنه كمالاته التي سرت في الآفاق، والصلاة والسلام علىٰ من صلىٰ عليه ربه بجلاله وعظمته، وأمر ملائكة قدسه بالصلاة عليه تعظيماً له، وإظهاراً لعظيم قدره ورفيع منزلته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنزلُ في كتابه الكامل الأوفىٰ علىٰ نبيه ورسوله الذي اصطفىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، ولا أذىٰ أشد من وصف والدي الرجل بالشرك والخلود في النار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق، ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، اللهم فصل وسلم وبارك عليه، وعلىٰ والديه، وعلىٰ أهل بيته، صلاة وسلاماً لا منتهىٰ لهما دون رضوانك .

وبعد؛ فـــ إنه عندما يتطاول الأقزام علىٰ الجبال الشـــامخة، وينال الأطراف من الأشراف، وجب علـىٰ من له ملكة الكتابة أن يرد تطاول هؤلاء ، ويحطم ما شيدوه، بمعول ما به أسسوا له وبنوه، ولما رأيت من هؤلاء الذين تسموا بالوهابية، النيل من جناب المصطفىٰ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بكل أشكال الإساءة وقلة الأدب، وبمناسبة ما اشتملت عليه مرآتهم من الزور، ومـا ارتكبوه فيها من الفجور، فطعنوا في عرض خير خلق الله بكـل لســـان، وذكروهم بكـل زور وبهتـان، فحركتني الغيرة الإلهية، والحمية النَّســبية بانتصـــار الابن لوالده، والحفيد لجده الذي من نســله نزل، علىٰ أن

أكتب ما يستطيع إليه القلم، احتراماً للوالدين الكريمين حيث شوَّهوهم، وانتصاراً للحلقة الأخيرة من سلسلة السَّاجِدين حيث خذلوهم، عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: >من أُذل عنده مؤمنٌ فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة<[1] وقوله أيضاً: >من ردّ عن عِرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة<[2] وهذا في الرد عن عرض أي مؤمن كان، وأما الرد عن أعراض الأنبياء فقد يتولاه الله بنفسه ، فمن بارزهم فقد بارز الله، والمنتصر لهم منتصر لله، ولازال أهل الفضل في دفاع عن دين الله في كل زمان، وأنبياء الله تعالى لن يزالوا بين منتقد ومعتقد؛ ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٦٢] فلا بد من ودود يمدح وحسود يقدح، ولكنْ كلٌّ من القدح والانتقاد يُتصوران في أفراد ممن نقَّص في الدين أو زاد، بحيث تجاهر بما يتضمن الفساد فيما يظهر للمنتقد، وقد يكون على خلاف ما اعتقد، وأما التعرض لخير خلق الله تعالى، بالنيل من والديه ووسمهم بالشرك والوثنية، بدليل ظني الدلالة، ظني الثبوت، كما فعلته الطائفة الوهابية، ومن سبقهم ممن حرمه الله التعظيم لجناب النبوة، فهذا أمر عظيم، وخطب جسيم: ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧]، وهكذا تجد كل إمام متورع يخشى القول في عوام المسلمين فضلاً عن المرسلين، وحتى لو قلنا: لو لم يصح في توحيدهم شيء لوجب عليك وعليَّ احترامهم، وحرمت عليك وعليَّ أعراضهم، لكونهم وعاءً حوى جسم خير خلق الله

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٨٧/٣) والطبراني في الكبير (٧٣/٦) عن سهل بن حنيف.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٣٢٧/٤) وقال: حديث حسن صحيح .

على الإطلاق، فتكف حينئذ عن التتبع لعوراتهم حذراً مما حذرك منه الشارع صلَّى اللهُ عليه وسلَّم >من شان على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق أشانه الله بها في النار يوم القيامة< [٣] .

هذا فيمن أشان[٤] على عورة مسلم واحد، وأي حكم يلحق من شان نبياً أوجب الله تعظيمه وتوقيره؟! وتوسع في النكير على من قال بنجاتهم من العلماء، تحدثه نفسه أنه السني الواحد في الوجود، وأنه من الطائفة المنصورة ، وغيره إما مبتدع جهول أو مخالف مخذول، فهذا حكمهم في أبناء ملتهم، ولم ندر ما حكم الله فيهم؟ ولو تتبعوا عورات أنفسهم لوجدوا فيها ما يغنيهم عن تتبع عورات الغير، ولكن مثلهم يجري عليه قوله ﷺ: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ» [٥] أما أنتم فنسيتم جذوعاً كثيرة سيأتيكم نبؤها بعد حين، ولعله كلما أطلعناكم على جذع منها أزلتموه مهما أمكنكم، وما إزالته إلا مجرد اعتراف، ولكن الاعتراف نتيجة الإنصاف، فإن كنتم منصفين فكتابي حجة لكم، وإلا فهو حجة عليكم، وعلى كل حال مهما تناوله آحادكم فليكن ذا بصرٍ حديد وعقلٍ سديد، وفؤادٍ من التعصب بعيد، فإني ما كتبت إلا وأنا أرجو الله أن ينقذ من أراد الحق بسببه، أو ينقذ من هو على شاكلتكم، أو مَن سرت فيه من إشارتكم بسبب نظره في مرآتكم المكسوفة أو مجالسكم المأسوفة .

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٢٧/٤) وقال: حديث حسن صحيح .

(٤) شان وأشان : شوه وعاب وانتقص .

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٣/١٣) عن أبي هريرة .

وبعد هذا فتراني متراملياً لتقسيم مواضيع الكتاب تحت مسمىٰ روضة، ليكون كذلك لمن أراد التنعم برياضه ، والتفيؤ بظلاله ، حتىٰ الشبهات التي سأرد عليها تحت مسمىٰ الجذوع التي ذكرتها آنفا، سميتها روضة، لأن إزالة الجذوع الكبار، المانعة العين من الإبصار، هي في الحقيقة روضة، يتنعم بها الأعمىٰ حين يُرد إليه الإبصار، والأكمه حين يرىٰ النور بعد الظلام.

ورياض الكتاب هي :

تمهيد

الرَّوضَةُ الأولى: قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء:٢١٩}، وفيها:

الحقيقة المحمدية:

رؤيا السيدة آمنة :

خيرية هذا النور :

أخذ الميثاق علىٰ الأنبياء :

كتابة اسمه في الملكوت:

اقتران اسمه مع اسم الله تعالىٰ:

دعو أبينا إبراهيم :

إعلام الله به إبراهيم :

إعلام الله به يعقوب :

إعلام الله به موسىٰ :

بشارة عيسىٰ بن مريم :

شرف نسبه :

صيانة هذا النور من دنس الجاهلية:

سلسلة الآباء الشريفة

الوالدان الكريمان

الجد عبد المطلب «شيبة الحمد» .

قريش تستسقي بعد المطلب

عبد المطلب على ملة إبراهيم

هاشم، عبد مناف، قصيّ، كِلاب، مُرَّة، كعب، لؤي، غالب، فِهْر، مالك، النضر، كِنانة، خُزيمة، مُدركة، إلياس، مُضر ، نزار ، معدّ، عدنان .

خلاصة رجال السلسلة

الكـــلام على آزر:

والد أبينا ابراهيم:

الرَّوضَةُ الثانية: تكحيل العين بأدلة نجاة الوالدين .

(الدليل الأول) التكليف الشرعي وشروطه وهي:

(أولاً) العقل :

(ثانياً) البلوغ :

(ثالثاً) سلامة الحواس :

(رابعاً) بلوغ الدعوة :

(الدليل الثاني) الأدلة القطعية من القرآن الكريم .

(الدليل الثالث) أدلة السنة المطهرة .

(الدليل الرابع) دليل الإجماع .

تذييل:

حكم أهـل الـفـــــترة

طهارة النسب دليل التوحيد

الرَّوضَةُ الثالثة: أقوال الأئمة في والدي نبي الأمة

- عمر بن عبد العزيز يهمُّ بقتل من أساء الأدب
- محنة وكيع الجراح شيخ الشافعي
- فتوىٰ علماء الأندلس بقتل فقيه
- فتوىٰ فقهاء القيروان بقتل الفزاري
- فتوىٰ القاضي ابن العربي
- الحافظ القسطلاني
- الإمام الكوثري:
- الإمام محمد مرتضىٰ الـزَّبيدي
- الشيخ مصطفي أبو سيف الحمامي
- الإمام فخر الدين الرازي
- الإمام أبو بكر بن العربي المالكي
- الإمام القرطبي
- الإمام الالوسي

- الإمام ابن حجر الهيتمي
- شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي
- شرف الدين المناوي
- العلامة ابن عابدين
- الإمام الزرقاني
- العلامة الباجوري
- القاضي محمد بن عمر بحرق الشافعي
- العلامة محمد عبد الله الجرداني الشافعي

المصنفات في نجاة الأبوين الكريمين

الرَّوضَةُ الرابعة: إزالة الجذوع الكبار المانعة من الإبصار

الجذع الأول قولكم: إن الإجماع منعقد على كفر الوالدين الكريمين وبيان ذلك.

الجذع الثاني: استدلالكم بأدلة ظنية الدلالة والثبوت على كفر الوالدين .

الجذع الثالث: قولكم بكفر الوالدين وعبادتهم أصنام قومهم .

الجذع الرابع: أذيتكم لله ورسوله بنسبة الوالدين الكريمين للشرك والوثنية .

الجذع الخامس: محاولتكم أن تشيعوا الفتنة في مجتمع الإسلام بما لا فائدة منه.

الرَّوضَةُ الخامسة: رفع المين عن حديث إحياء الوالدين

الرَّوضَةُ السادسة: تحقيق الرغائب في إيمان أبي طالب .

وبعد تقسيم الكتاب إلى عناوين رئيسة وفرعية، أطلقت عليه اسم: >الرياض الندية في الآباء العلية»، لا أصولُ فيه على رسول الله ﷺ بذم والديه وجده المكرمين، كما

فعلتم، بل أنقل القارئ إلى رياض جِنانه بمدحه ﷺ ومدح أصوله وفروعه بما تقرُّ به عينه، وأردُّ الصائل المتطفل، بل وجب على كل عالم محب لرسول الله ﷺ ردُّه ردَّ الصائل، بإظهار الأحكام الشرعية المتعلقة بحرمة والدي رسول الله ﷺ ولزوم الأدب مع حضرته الشريفة، وذلك من لزوم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨، ٩] وسبُّ الوالدين ينافي التوقير، وإشاعة هذه المسائل يعارض التعزير، ولو أشغل هؤلاء ألسنتهم بالصلاة على من صلى عليه ربه لكان خيراً لهم وأطهر، ولو أشغلوا أنفسهم بذكر ربهم لكان أكبر وأبر، أسأل الله لنا ولهم العافية .

تمهيد

إن من أهم الأسس التي بنت الحركةُ الوهابية بنيانَها عليه عداءَها للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأهل بيته، وذلك نابع من بغضهم للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حيث أبى أن يدعو لهم عندما دعا لأهل الشام واليمن، فقالوا: هو البادئ بالعداوة، وهذا ما فاه به بعضهم وسمعناه منه، ولسنا متقولين على القوم، فما انطوت عليه صدورهم من البغضاء أكبر مما يتفوهون به، وذلك متمثل بترجمة هذا البغض إلى معول طمسوا به كل معلم للنبوة في بلاد الحرمين بدعوى التوحيد، والمتأمل في كتبهم ومقالاتهم وخطبهم لا يجد إلا ما يوجب التنقيص من قدر النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وآل بيته .

إن مؤسس هذه الحركة كان شديد العداء للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومن مظاهر عدائه أن حرَّم الصلاة عليه ليلة الجمعة ويومها على المنائر، ومن فعل ذلك فقد تعرض

للقتل، وأحرق الكتب التي أُلفت في الصلاة عليه كدلائل الخيرات، ووصف النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بأوصافٍ تحمل كل أنواع الجلافة، وإساءة الأدب، والتعرض لآل بيته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالقتل والأذىٰ، ووصف والديه الشريفين بالشرك، وأنهما مخلدان في النار، وكذا جده عبد المطلب، وعمه أبو طالب، ووصف النواصب الذين انتزعوا الخلافة من آل البيت بأنهم هم الفرقة الناجية، ومنعوا من التعرض لهم بأي شكل من أشكال الإهانة أو السب، وأن يزيد بن معاوية الذي قتل الصحابة واستباح المدينة لجيشه، وانتهك أعراضهم هو خليفة يحرم منازعته في سلطانه، وسنَّ ذلك لأتباعه فلم يزالوا يترضون عنه في كتبهم .

لذلك نجد نتاج هذه المقدمات الخاطئة التي أرسىٰ دعائمَها سلفُهم، مفاهيم خاطئة غرسها الخلف في عقول الناشئة، حتىٰ تجرأ الكبير منهم والصغير، العالم والجاهل علىٰ مقام النبوة بنسبة والديه إلىٰ الشرك، وأنها عقيدة يجب اعتقادها، وكأنها مسألة عُلمت من الدين بالضرورة، وكأن النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم شخص عادي ليست له أية قيمة زائدة علىٰ قيمة علمائهم، بل ربما عظموا علماءهم أكبر من تعظيمهم للنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بدعوىٰ تعليم الجاهل بما منَّ الله علىٰ بلد التوحيد بهؤلاء المجددين، وتعريف الناس بقدرهم ليأخذوا عنهم الشرائع، أما تعظيم النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عندهم فهو مفضٍ للشرك، وأنه ذريعة لرفعه إلىٰ مرتبة الربوبية . سبحانك هذا بهتان عظيم !!

إن أهل السنة لزموا الأدب مع رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم منهم من اعتقد نجاة والديه، وأنهما معه في الجنة لتقر عينه بهما، حيث وعده الله تعالىٰ بالعطاء الجزيل حتىٰ

يرضى، وكيف يرضى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ووالداه ليسا معه في الجنة؟! وهو الآمر ببرهما:

أترجوه أُمتُه وتيأَسُ أُمُّه حاشا وهو بِبِرِّه يُوصينا

ومنهم من سكت ووكل أمرهما إلى الله تعالى، أدباً وإجلالاً وتعظيماً ومحبة.

إن مما قرره علماء الأصول عند ترتيب الأدلة أن يقدموا المتواتر على غيره من خبر الآحاد وإن كان صحيحاً، والأدلة التي اعتمدوها في نجاة الوالدين الكريمين قطعية الدلالة والثبوت، حيث جاءت في القرآن الكريم بآيات كثيرة، وأن النواصب حكموا على الوالدين بما هما منه براء بأدلة ظنية دلالةً وثبوتا، فكيف يصح أن يُقطع بالظني من الأدلة ولا يقطع بالقطعي منها؟ أليس هذا مناف لإجماع أهل السنة، وصريح العقل والنقل؟!

إن من الحكمة الإلهية، والعدل الرباني أن لا يؤاخذ أحداً إلا بعد الإعذار، ولا يعذِّب عبداً إلا بعد الإنذار، فأرسل رسله، وأنزل عليهم كتبه، وقرر الشرائع، ثم أمر العباد بالطاعة للرسل، وتطبيق الشرائع التي شرع، وتعذيب العباد ومؤآخذتهم بغير هذا مناف لحكمته وعدله تعالى، وبذلك نصت الأدلة القرآنية المحكمة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٦٥].

إن وصف الوالدين الكريمين بوصف أهل الجاهلية هو نوعٌ من إيذاء النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وإيذاؤه محرَّمٌ بنص القرآن، وقد توعد الله تعالىٰ من فعل ذلك بالعذاب، بل ويُخشىٰ عليه من سوء الخاتمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [التوبة: ٦١]، وإيذاؤه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ليس مقصوراً حال حياته فقط، بل حكم الإيذاء منسحب وباق ما دامت الدنيا، وأن حرمته صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ميتاً كحرمته حيا، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فكما حرم نكاح أزواجه من بعده، كذلك حرم إيذاءه، وأعقب ذلك بالتأبيد، مخبراً أن الحكم باق إلىٰ قيام الساعة .

ومما يدل علىٰ أن الحي يتأذىٰ بسب الميت ما رواه ابن أبي عاصم قال: قَدِمَتْ دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً فَنَزَلَتْ دَارَ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ الزُّرَقِيِّ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَلَسْنَ إِلَيْهَا مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: أَنْتِ ابْنَةُ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] مَا يُغْنِي عَنْكِ مُهَاجَرُكِ. فَأَتَتْ دُرَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا فَسَكَّنَهَا وَقَالَ: «اجْلِسِي» ثُمَّ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، وَجَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: >يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَالِي أُوذَىٰ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتُنَالُ بِقَرَابَتِي حَتَّىٰ حَا وَحَكَمُ وَصُدَاءُ وَسَلْهَبُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ <[٦] .

(٦) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٥/ ٤٧٠) .

الشاهد: إن أبا لهب مات على الشرك بعد أن بلغته دعوة الإسلام، ونزل فيه قرآن محكم غير منسوخ، ودليل عذابه قطعي، وقد وصفته بعض الصحابيات بما جاء في القرآن، لكن هذا الوصف كان سبباً في أذية ابنته المسلمة، وأذية ابنته كانت سبباً في أذية رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فكيف ينهى النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن إيذاء مسلمة بوصف أبيها بدليل قطعي، ويؤذي النبي بوصف والديه بدليل ظني؟! أليس هذا من الرد على رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ؟!

إن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وصف نفسه بالخيرية، كما وصف أبويه بذلك، ثم أطلق هذه الخيرية على سلسلة آبائه فقال: >فأنا خيار من خيار من خيار< ، وقد تثبت الخيرية للظالم، وقد تثبت للمسيء، والسارق والمذنب، لكنها لا تثبت لمشرك أبدا، بدليل قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وبما أنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وصف أبواه وجدَه بالخيرية، فقد نفى عنهم الشرك المنافي لها، وبالتالي فهم موحدون .

إن أشرف بقعة في الأرض والسماء، في كلام العلماء، هي التي حوت جسدالحبيب الأسمى، فإذا كان جسده بعظامه قد ضمته تربةٌ عُدت الأعظم بين الثرى، والأشرف في نوال القرى، فكيف ببطن كُونت فيها عظامه؟! وكيف برحم نشأت فيها أمشاجه؟! وبصلب حوى نسمته؟!

إن غاية ما يستدل به النواصب حديث مسلم، «أبي وأباك في النار»، وهو دليل آحاد مفاده الظن، ومزاحم للقطعي من القرآن والسنة، وإذا قلنا بصحته وجب تأويله حتى لا يقع التعارض بين القرآن والسنة، ومن تأويله وصف العم بالأب، وهو جار في لغة

العرب، ودلت عليه آيات القرآن، ومن القطعي أن أبا لهب عمه في النار، فانصرف معنىٰ الأب هنا إلىٰ العم، وتأويل معنىٰ النار؛ أن كل عبدٍ لله تعالىٰ من إنسٍ وجن سيجوزون الصراط، فهذا معنىٰ ورود النار، وبالتالي يكون صرف المعنىٰ إلىٰ الوالدين ظنيا، والدليل إذا طرقه الاحتمال، سقط به الاستدلال .

ومما استدل به النواصب حديث زيارة النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم لقبر والدته، وفيه: أنه مُنع من الاستغفار لها، وهذا دليل لا يدل علىٰ ما ذهبوا إليه، إذ ليس في متن الحديث ما يدل علىٰ ذلك، وغاية ما يدل عليه الحديث: أن الاستغفار لا يكون إلا من ذنب، ولا ذنب إلا بتكليف، وأهل الفترة غير مكلفين بنص القرآن، وإجماع الأمة، فكيف يكون الاستغفار من غير ذنب؟! قال الشنقيطي في متنه وفي نظمه:

ومن يقل في دعاه ربي يحـرقُ أمَّ النبـي كافــرٌ محــرَّقُ
ومن يقل في النار والدُ النبي فهو لعين قاله ابن العربي

ثم إني أقول: ما هي الحكمة من عرض هذه المسائل؟ وهل هي مما يُسأل عنه المسلم في قبره؟؟ وهل هي تكليفٌ شرعيٌّ سيسألنا الله تعالىٰ عنه يوم القيامة؟ وما هي الفائدة التي يجنيها المسلم من هذه المسألة، أليست هي مِن بثِّ بذور الفتنة في الأمة، ومن أسباب تفرقها؟ فليتق الله تعالىٰ من يفعل ذلك، وليسعه ما وسع الأمة من قبل، فإن لم تقل بنجاتهما فتمثل بقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] .

إن المتأمل بسيرة الشيعة الروافض، وسيرة الوهابية الخوارج، يجدهما وجهان لعملة واحدة، فالرافضة يبغضون أمهات المؤمنين، ويقولون بكفرهن، وهن أزواج رسول الله ﷺ ، ثم بعد ذلك يدَّعون حبَّ النبي وأهل بيته، والوهابية يقولون بعكس ذلك، فيدَّعون حب رسول الله ﷺ وحب أزواجه، لكنهم بالمقابل لا يحبون آهل بيته، ويَسمون والديه وجدَّه وعمَّه بالكفر، وبالتالي: فإن مجموع أقوالهم تكفير أمهات المؤمنين، والقرابة والصحابة، فتقرَّ عين شياطين الإنس والجن بفعلهم هذا، فكيف يصح حب رجل للنبي ﷺ يدَّعي الإسلام ثم يقدح في شرف أزواجه، ويتكلم بحق والديه، أي عقلٍ يقبل هذا؟!! وأي دينٍ يبيحه؟

ألم يكن لهم برسول الله ﷺ أسوة حسنة، لقد أكرم النبيُّ ﷺ زعيمَ المنافقين رغم عظيم إساءته، ونزول الآيات الكثيرة بحقه، وأنه في الدرك الأسفل من النار، ودليل عذابه قطعي، ومع ذلك فقد أحسن صحبته، ولما مات غسله، وكفنه بقميصه، وصلىٰ عليه واستغفر له، إكراماً لإبنه كونه من الصحابة، أفلا يفعل هؤلاء مع والدي النبي ﷺ ما فعله النبي مع هذا الرجل؟ إكراماً له ﷺ ، مع أنه لا دليل علىٰ كفر الوالدين؟

الرَّوضَةُ الأولى

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء:٢١٩}

وفيها:

الحقيقة المحمدية وما يتعلق بها

سلسلة الآباء الشريفة

خلاصة رجال السلسلة

الكـــلام على آزر

الكلام على والد أبينا ابراهيم

الرَّوضَةُ الأولى

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء:٢١٩}

الساجدون في هذه الآية الشريفة هم سلسلة آباء النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ابتداء بالوالدين الكريمين، مروراً بعدنان جده الأعلى إلى إسماعيل وإبراهيم وانتهاء بأبينا آدم عليهم السلام .

قالوا: ينبغي عدم الكلام حول هذا الموضوع لحساسيته، حتى لا ينعت بعضهم الوالدين بالكفر، وأن نكل أمرهما إلى الله تعالى، ثم يجب أن لا نلغي قول المعارض، فهو قول جدير بأن نأخذ به ولا نهمله .

قلت: وجود الرأي الآخر المعارض لقولنا غير ملزم لنا بالسكوت، إذ إن وجود الدليل من القرآن وصحيح السنة هو الأصل الذي لا يحاد عنه، ونحن دللنا على ما ذهبنا إليه بأصول الكتاب والسنة، وإليه ذهب عامة العلماء العاملون أئمة هذا الدين، الذين أجمعت الأمة على أمانتهم وعلمهم، وبهذا يصل الأمر إلى الإجماع، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا أفراد قلائل منهم من رجع عن قوله، ومنهم من نقصته الدراسة الوافية حول الموضوع، وعُد قوله مرجوحا، ومنهم من ثبتت بدعته للقاصي والداني، ولا بدعة مثل بدعة النصب والعداء للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والوقوع في عرضه وأذيته .

إن الدفاع عن الحق مشروع، بل يصل إلى الوجوب حين تظهر البدعة، وتستفحل بالأمة، وعلى طلبة العلم الأكفاء أن يُظهروا عوار هؤلاء انتصاراً للحق، لا حقداً

عليهم، ولا كون الذي يردُّ عليهم صوفياً يحمل بين ثناياه قلباً أسود ـ كما ادعاه البعض ـ فهذا أبو بكر رضي الله عنه رأىٰ قتال المرتدين، فعارضه جميع الصحابة، ومنهم عمر، ولكن أبا بكر أخذ بالنص، فكان معصوما، وغيره أخذ بالرأي فكان مجتهداً، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، والعصمة ثبتت لنا في جانب الكتاب والسنة . فهل كان هؤلاء يحملون حقداً في قلوبهم؟

وقد تكلمت علىٰ هذه الآية الشريفة لأخلص إلىٰ القول بأن سلسلة آباء النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم هم ممن عناهم الله فيها، وأنهم هم من سماهم السَّاجِدين، وهم الموحدون أتباع الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، وسرد سيرهم بيان للجاهل أن من كانت سيرته مشرقة يستحيل عليه الشرك بالله تعالىٰ، لأنهم الساجدون، والساجد لله لا يكون مشركاً به، فهم مطهرون من رجس الجاهلية وشركها، ونقلت لنا كتب السير تاريخهم الناصع، بحيث يدفع كل قول لمعترض بأنهم مشركون، وأنهم من أهل النار.

وسلسلة النسب الشريف هم آباء النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم إلىٰ عدنان، إذ أن هذا النسب متواتر لا شك فيه أبدا، ويشكل النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم حلقة الوصل في هذه السلسلة الشريفة، حيث يصل الأبناء بالأجداد، وأعني بالأبناء هم آل بيته، عترته الذين انحدروا من صلبه الشريف، من طريق السيدة فاطمة رضي الله عنها، وهؤلاء هم المقصودون بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وأعني بالآباء هم حملة النور المحمدي من لدن أبينا آدم عليه السلام، إلىٰ سيدنا عبد الله بن عبد المطلب، وهؤلاء هم المقصودون بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين﴾ والنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم هو الدرة اليتيمة في هذه

السلسلة الذهبية المباركة، فقد أكرم الله تعالىٰ لأجله الآباء فسماهم «السَّاجِدين»، كما أكرم الأبناء، وسماهم «أهل البيت»، وطهر الجميع من رجس الكفر، كما طهرهم من دنس المعاصي، فلم يلحقهم ذنب .

ولما تعرض المغرضون لآباء النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بالأذىٰ، ووسموهم بالشرك، وأنهم من أصحاب النار، وجب علينا تفنيد مزاعمهم، وأنهم لا يقصدون بقولهم هذا إلا الإساءة لشخص النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ولو كان غير ذلك لوسعهم ما وسع الناس من قبلهم، حيث أن الكلام في هذا الموضوع لا فائدة منه سوىٰ زرع بذور الفُرقة بين جماعات الأمة، خاصة في هذه الآيام التي تلح وبشكل قوي علىٰ توحيد الصفوف ورصها أمام ضربات أعداء الإسلام حتىٰ يبقىٰ المجتمع متماسكا .

وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدين

التقلب: الانتقال من مكان لآخر، والسَّاجِدين: جمع ساجد، وهو المسلم الموحد، وحتىٰ نعرف معنىٰ الآية لا بد من ضم الآيات التي قبلها حتىٰ يكتمل سياق الآي القرآني، قال تعالىٰ في سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين (٢١٩)﴾ .

جاءت هذه الآيات الكريمة في معرض تكليف الله تعالىٰ لرسوله محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بتبليغ رسالة ربه، وأن يتوكل علىٰ ربه، ولا يخشىٰ أحداً عارضه أو سيعارضه

كما عارض الكفارُ أنبياءهم، يقول: إني سأحفظك وأعصمك من الناس الذين يريدون بك سوءا، فكما حفظتك نوراً في أصلاب الرجال، قبل بروزك إلى الوجود، سأحفظك حال حياتك، وستكون العاقبة لك .

وأظن أن من فسر هذه الآيات بالصلاة، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه فقد أبعد النجعة، إذ ليس للصلاة هنا ذكر، وإنما المذكور هو تبليغ الرسالة، وحث من الله تعالى لرسوله أن يصدع بأمر ربه، وأن يتوكل عليه ولا يخشى أحدا .

روى الدينوري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾؛ مَا زَالَ يَتَقَلَّبُ فِي أَصْلابِ الأَنبِيَاءِ حَتَّى وَلَدَتهُ أُمُّهُ؛ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم [٧] .

والذي كان يتقلب في أصلاب الرجال هو نور النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أو تقول: هي روحه الشريفة، والتي تسمى بالحقيقة المحمدية، فإن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام، ويستبعد أن يكون الذي يتقلب في الأصلاب هو جسمه الشريف .

الحقيقة المحمدية

مما لا شك فيه أن الإنسان مخلوق من مادتين: كثيفة وهي الجسم، ولطيفة وهي الروح، والأرواح سبقت الأجسام بالخلق بألفي عام، أي قبل خلق أبينا آدم عليه

[٧] [المجالسة وجواهر العلم (٨/١٨٤، رقم: ٣٤٨٩)، معجم ابن الأعرابي (٢/ ٨٤٩)، الشريعة للآجري (٣/ ١٤١٧)، الأحاديث المختارة (١٢/ ١٠١)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٦٢)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ٢١٤)] ورجاله ثقات .

السلام، ولكن النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم رغم ظهوره بالصورة البشرية، إلا أن الله تعالىٰ أكرمه بأنواع الكرامات قبل بروزه إلىٰ العالم، بل أكرم غيره لكرامته، وهذه الكرامات كانت لحقيقته قبل بروزه، فجاءت آيات تشير إلىٰ هذه الحقيقة، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] .

وهذا الميثاق لم يكن في الدنيا، وإنما كان في عالم الأرواح، قبل البروز إلىٰ الدنيا، وهذه التي أُخذ الميثاق لها من النبيين هي المعبر عنها بالحقيقة .

قال تقي الدين السبكي:

يَتَبَيَّنُ بِذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم «كُنْت نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» وَإِنَّ مَنْ فَسَّرَهُ بِعِلْمِ اللهِ بِأَنَّهُ سَيَصِيرُ نَبِيًّا لَمْ يَصِلْ إلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ، لأَنَّ عِلْمَ اللهِ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ وَوَصْفُ النَّبِي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بِالنُّبُوَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ أَنَّهُ أَمْرٌ ثَابِتٌ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْت، وَهَذَا رَأَىٰ اسْمَهُ آدَم مَكْتُوبًا عَلَىٰ الْعَرْشِ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنىٰ ثَابِتا فِي ذَلِكَ الْوَقْت، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مُجَرَّدَ الْعِلْمِ بِمَا سَيَصِيرُ فِي الْمُسْتَقْبَل، لَمْ يَكُنْ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَد، لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ يَعْلَمُ اللهُ نُبُوَّتَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقَبْلَهُ، فَلا بُدَّ مِنْ خُصُوصِيَّةٍ لِلنَّبِي صلَّىٰ

اللهُ عليه وسلَّم لأَجْلِهَا أَخبرَ بِهَذَا الْخَبَرِ، إعْلامًا لأُمَّتِهِ لِيَعْرِفُوا قَدْرَهُ عِنْدَ اللهِ، فَيَحْصُلُ لَهُمُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: أُرِيدُ أَنْ أَفْهَمَ ذَلِكَ الْقَدْرَ الزَّائِدَ فَإِنَّ النُّبُوَّةَ وَصْفٌ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَوْصُوفُ بِهِ مَوْجُوداً، وَإِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ بُلُوغِ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَيْضًا، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِهِ قَبْلَ وُجُودِهِ؟وَقَبْلَ إِرْسَالِهِ؟ فَإِنْ صَحَّ ذلِكَ فَغَيْرُهُ كَذَلِكَ.

قُلْتُ: قَدْ جَاءَ أَنَّ اللهَّ خَلَقَ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الأَجْسَادِ، فَقَدْ تَكُونُ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «كُنْتُ نَبِيًّا» إِلَى رُوحِهِ الشَّرِيفَةِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وَإِلَى حَقِيقَتِهِ، وَالْحَقَائِقُ تَقْصُرُ عُقُولُنَا عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا خَالِقُهَا، وَمَنْ أَمَدَّهُ بِنُورٍ إِلَهِيّ . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْحَقَائِقَ يُؤْتِي اللهُ كُلَّ حَقِيقَةٍ مِنْهَا مَا يَشَاءُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ، فَحَقِيقَةُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَدْ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ، آتَاهَا اللهُ ذَلِكَ الْوَصْفَ، بِأَنْ يَكُونَ خَلَقَهَا مُتَهَيِّئَةً لِذَلِكَ وَأَفَاضَهُ عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَصَارَ نَبِيا، وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِالرِّسَالَةِ، لِيَعْلَمَ مَلائِكَتُهُ وَغَيْرُهُمْ كَرَامَتَهُ عِنْدَهُ، فَحَقِيقَتُهُ مَوْجُودَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وإِنْ تَأَخَّرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ الْمُتَّصِفُ بِهَا وَاتِّصَافُ حَقِيقَتِهِ بِالأَوْصَافِ الشَّرِيفَةِ الْمُفَاضَةِ عَلَيْهِ مِنْ الْحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ حَاصِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَإِنَّمَا يَتَأَخَّرُ الْبَعْثُ وَالتَّبْلِيغُ لِتَكَامُلِ جَسَدِهِ ﷺ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ التَّبْلِيغُ، وَكُلُّ مَالَهُ مِنْ جِهَةِ اللهَّ تَعَالَى وَمِنْ جِهَةِ تَأَهُّلِ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَحَقِيقَتِهِ مُعَجَّلٌ لا تَأَخُّرَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ اسْتِنْبَاؤُهُ وَإِيتَاؤُهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَإِنَّمَا الْمُتَأَخِّرُ تَكَوُّنُهُ وَتَنَقُّلُهُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ ﷺ وَغَيْرُهُ، مِنْ أَهْلِ الْكَرَامَةِ.

وَلا نُمَثِّلُ بِالأَنْبِيَاءِ بَلْ بِغَيْرِهِمْ قَدْ يَكُونُ إِفَاضَةُ اللهَّ تِلْكَ الْكَرَامَةَ عَلَيْهِ بَعْدَ وُجُودِهِ بِمُدَّةٍ كَمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَا يَقَعُ فَاللهَّ تَعَالَى عَالِمٌ بِهِ مِنْ الأَزَلِ،

وَنَحْنُ نَعْلَمُ عِلْمَهُ بِذَلِكَ بِالأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَيَعْلَمُ النَّاسُ مِنْهَا مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ ظُهُورِهِ لِعِلْمِهِمْ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، فِي أَوَّلِ مَا جَاءَهُ بِهِ جِبْرِيلُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جُمْلَةِ مَعْلُومَاتِهِ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ فِي مَحَلٍّ خَاصٍّ يَتَّصِفُ بِهَا .

فَهَاتَانِ مَرْتَبَتَانِ: الأُولَى مَعْلُومَةٌ بِالْبُرْهَانِ . وَالثَّانِيَةُ: ظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ، وَبَيْنَ الْمَرْتَبَتَيْنِ وَسَائِطُ مِنْ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَحْدُثُ عَلَى حَسَبِ اخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْهَا مَا يَظْهَرُ لِبَعْضِ خَلْقِهِ حِينَ حُدُوثِهِ، وَمِنْهَا مَا يَظْهَرُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا مَا يَحْصُلُ بِهِ كَمَالٌ لِذَلِكَ الْمَحِلِّ وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَمَالٍ يُقَارِنُ ذَلِكَ الْمَحِلَّ مِنْ حِينِ خَلْقِهِ وَإِلَى كَمَالٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلا يَصِلُ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَيْنَا إلا بِالْخَبَرِ الصَّادِقِ، وَالنَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خَيْرُ الْخَلْقِ فَلا كَمَالَ لِمَخْلُوقٍ أَعْظَمَ مِنْ كَمَالِهِ، وَلا مَحَلَّ أَشْرَفَ مِنْ مَحَلِّهِ، يُعَرِّفُنَا بِالْخَبَرِ الصَّحِيحِ حُصُولَ ذَلِكَ الْكَمَالِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ أَعْطَاهُ النُّبُوَّةَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ أَخَذَ لَهُ الْمَوَاثِيقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَعَلَى أُمَمِهِم، لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ، وَفِي أَخْذِ الْمَوَاثِيقِ وَهِيَ مَعْنًى فِي الاسْتِخْلافِ، وَلِذَلِكَ دَخَلَتْ لامُ الْقَسَمِ فِي ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[٨]. انتهى كلام السبكي

إن النبي ﷺ كان نوراً يتنقل من الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الزكية، حتى خرج من بين أبويه الكريمين، وكان نوره في غرة آبائه، يظهر عليه من البهاء والجمال ما كان

(٨) [التَّعْظِيمُ وَالْمِنَّةُ فِي قَوْله تَعَالَى لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ]، وهي ضمن فتاوى السبكي (٣٨/١)].

مطمح النظر، وقد عبر القرآن عن هذا النور بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، يدل سياق الآية على أن النور هو سيدنا محمد ﷺ والكتاب هو القرآن، والخطاب لأهل الكتاب، وقد خاطبهم الله من قبل ذلك، ووصف لهم النبي ﷺ في كتبهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {الأعراف:١٥٧} . فهذه الآية تفسر الآية السابقة بأن المقصود بالنور في الآية هو النبي سيدنا محمد ﷺ .

رؤيا السيدة آمنة :

روى البيهقي عن العرباض بن سارية صاحب النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَوْفَ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَتْ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَيْنَ» ، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام[٩] .

[٩] رواه البيهقي في {شعب الإيمان (١٣٤/٢)، مسند أحمد عالم الكتب (٤/ ١٢٧)، المعجم الكبير للطبراني ط مكتبة العلوم والحكم (١٨/ ٢٥٢)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٥٣) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٩٠)] .

فقوله: «نورا أضاءت له قصور الشام»، رأته على الحقيقة، حيث كشف الله تعالى عن بصرها فرأت حقيقته، نوراً أضاءت له الشام، حتى رأت قصورها، كرامة لها من الله تعالى، لكونها والدته، لذلك قال: «وكذلك أمهات النبيين يرين» .

وتخصيص الشام بظهور نوره ﷺ إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام؛ فقد جاء في [مسند أحمد (٤/ ١٩٨، رقم:١٧٨١٠)] عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا في منامي أتتني الملائكة فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتي فعمدت به إلى الشام، ألا فالإيمان حيث تقع الفتن بالشام».

ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، لذلك خصها الله بالرؤيا .

وقد أشار العباس بن عبد المطلب الى هذه الحقيقة، بقوله: يا رسول الله إني أريد أن امتدحك قال: قل لا يفضض الله فاك فقال [١٠] :

من قبلِها طبتَ في الظلال وفي مستودعٍ حيث يُخصف الورقُ
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنت ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركبُ السفين وقد أَلجمَ نسرا وأهلَه الغرقُ
ورَدتَ نارَ الخليلِ مستتراً في صُلبه أَنتَ كيفَ يَحترقُ
تُنقل من صالَبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضى عالَمٌ بدا طَبقُ
حتى احْتوى بيتَك المهيمنُ من خِندِفٍ علياءَ تَحتَها النُّطقُ

(١٠) [أسد الغابة ط العلمية (٢/ ١٦٥)، أسد الغابة ط الفكر (١/ ٦٠٦)، ترجمة خريم بن أوس] .

وأنتَ لـمَّا وُلـدتَ أشرقتِ الأر ضُ وضاءتْ بـنُورك الأُفـقُ
فنحنُ فـي ذلك الضِّـياءِ وفـي الـنُّورِ وسُـبُلَ الرَّشـادِ نَخـترقُ

قلت : أشار سيدنا العباس رضي الله عنه إلى حقيقة النبي ﷺ حيث كان نوراً في ملكوت الله، وهذا ما أشار إليه في البيت الأول، ولما خلق الله آدم وأهبطه الأرض أسكنه ظهره، فكان غرة في جبينه يتوقد كأنه فرقد، وكانت الملائكة تنظر إليه متعجبة من جماله، وهذا معنى قوله في البيت الثاني، ثم لما ولد ابنه شيث انتقل هذا النور إليه، فكان آية في الحسن والجمال، ثم إلى إدريس، ثم إلى سيدنا نوح عليه السلام، حيث كان في السفينة، فعبَّر عنه العباس في البيت الثالث، ثم استقر في ظهر أبينا إبراهيم عليه السلام، فكان في نار النمرود وهذا النور في ظهره، فقال: كيف يحترق الخليل ونورك في صلبه؟ ثم انتقل إلى إسماعيل، ثم انتهى إلى عدنان جده الأعلى، حتى انتهى إلى صلب والده عبد الله، ثم إلى السيدة آمنة، وعبر عن ذلك في البيتين الخامس والسادس، ثم ولدته أمه نوراً أضاءت منه الأرض، حتى أبصرت الشام، حيث ستكون الخلافة، وتكون الطائفة التي على الحق، ببيت المقدس وأكنافه، وهذا معنى قوله في البيتين الأخيرين .

وهذا سر قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ، لذا جاء في غير ما حديث أن الله تعالى صان هذا النور، فلم يودعه إلا في صلب طاهر، ورحم زكي، حتى خرج إلى الوجود مصانا من السفاح والشرك .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في معنى قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قَالَ: «مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجْتَ نَبِيا» [١١].

قال أبو حيان: «نقل روحه من ساجد إلى ساجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لَمْ أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وكل من كان كافراً فهو نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ {التوبة:٢٨}» [١٢].

قال الحافظ القسطلاني: وفي أحكام ابن القطان، مما ذكره ابن مرزوق، عن علي أن النبي ﷺ قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام» [١٣].

ولما خلق الله آدم وأهبطه الى الأرض جعل هذا النور فيه، ثم صار يتنقل من أصلاب الرجال الى أرحام النساء حتى جاء بين أبويه ﷺ لم يصبه شيء من سفاح الجاهلية، صيانة من الله تعالى لهذا النور، فعن علي قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ لَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، لَمْ يُصِبْنِي سِفَاحُ الْجَاهِلِيَّةِ» [١٤].

خيرية هذا النور:

مما لا شك فيه أن النبي ﷺ خير خلق الله على الإطلاق، فما برز إلى عالَم التكوين أشرف منه، فأطلق العلماء عليه قبل ظهوره اسم «النور»، أو الحقيقة المحمدية، وبعد ظهوره اسم: محمد، وأحمد، ورسول الله، إلى غير ذلك من الأسماء، أوصلها بعضهم

[١١] [الضياء في المختارة (١٠١/١٢)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٦٢، رقم: ١٢٠٢١)].

[١٢] {البحر المحيط في التفسير ت محمد معوض (٧/ ٤٥)}.

[١٣] [في المواهب اللدنية (١/ ٤٩)].

[١٤] [مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣/٦)، الشريعة للآجري (٣/ ١٤١٧، رقم: ٩٥٧)].

إلى (١٠٠٠) اسم، وقد جمعت منها في كتابي: «إعلام الأنام» ما يقارب (٤٠٠) اسم، منها ما جاء في القرآن، ومنها ما جاء في السنة، ومنها ما جاء في الكتب السابقة، وقد نوَّه الله تعالى بذكره قبل ظهوره، وذكر اسمه في الكتب السماوية التي أنزلها على الرسل، ولما ظهر جعل نسبه خير نسب، وصحبه خير الصحب، وزمنه الذي ظهر فيه خير القرون، وطهر ذريته من رجس الكفر ودنس المعاصي، وسمى آباءه الذين حملوا نوره في أصلابهم وأزواجهم بالسَّاجِدين، فمما أكرمه الله به:

أخذ الميثاق على الأنبياء :

أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء في عالَمِ الأرواح كما أخذه عليهم في عالَمِ الأشباح، وأخذ الأنبياءُ العهد والميثاق على أممهم، إن بعث الله محمداً ﷺ فيهم، أو أدركه أحدهم، ليؤمُنن برسالته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ {آل عمران:٨١} .

كتابة اسمه في الملكوت:

وذلك إعلامٌ وتنويهٌ بقدره عند الله تعالى، روى ابن عساكر عن كعب الأحبار أن الله أنزل على آدم عليه السلام عصيّا بعدد الأنبياء المرسلين، ثم أقبل على ابنه شيث فقال: أي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى، والعروة الوثقى، وكل ما ذكرتَ الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش، وأنا

بين الروح والطين، كما أني طفت السموات، فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة، فلم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها» [١٥].

اقتران اسمه مع اسم الله تعالى:

روى الحاكم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لأَنكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَىَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً: «لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فَعَلِمْتُ أَنكَ لَمْ تُضِفْ إِلَىَ اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنهُ لأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ» . قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ .

هذا من أنواع رفع ذكره في السماء، أما في الأرض، فقد رفع الله ذكره، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فعَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ [١٦] .

[١٥] [تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨١/٢٣)] .

[١٦] مسند الشافعي (ص: ٢٣٣) .

دعو أبينا إبراهيم :

روىٰ الهيثمي عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ يَرَيْنَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ<[١٧].

إعلام الله به إبراهيم :

أخرج ابن سعد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لما أمر إبراهيم بإخراج هاجر، حُمل علىٰ البراق، فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة إلا قال: انزل هاهنا يا جبريل، فيقول: لا، حتىٰ أتىٰ مكة، فقال جبريل: انزل يا إبراهيم، قال: حيث لا ضرع ولا زرع؟ قال: نعم ها هنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا.

وعن الشعبي قال في مجلة إبراهيم: أنه كائن من ولدك شعوب وشعوب حتىٰ يأتي النبي الأمي الذي يكون خاتم الأنبياء [١٨] .

[١٧] {مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/٢٢٣، رقم: ١٣٨٤٥)].

[١٨] {الطبقات الكبرى ط العلمية (١/ ١٣٠)}.

إعلام الله به يعقوب :

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: أوحى الله إلى يعقوب أني أبعث من ذريتك ملوكاً وأنبياء حتى أبعث النبي الحرمي، الذي تبني أمته هيكل بيت المقدس، وهو خاتم الأنبياء، واسمه أحمد [١٩] .

إعلام الله به موسى :

روى الطبراني عَن أَبِي أُمامَةَ البَاهليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقول: «لما بلغ ولد معدّ بن عدنان أربعين رجلا، وقفوا على عسكر موسى ﷺ وانتهبوه، فدعا عليهم موسى بن عمران ﷺ قال: يا رب هؤلاء ولد معد قد أغاروا على عسكري، فأوحى الله إليه، يا موسى بن عمران، لا تدعوا عليهم، فإن منهم النبي الأمي النذير البشير بجنتي، ومنهم الأمة المرحومة أمة محمد الذين يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل، فيدخلهم الله الجنة بقول لا إله إلا الله، لأن نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتواضع في هيئته، المجتمع له اللب في سكوته، ينطق بالحكمة، ويستعمل الحلم، أخرجته من خير جيل من أمته قريش، ثم أخرجته من هاشم صفوة قريش، فهم خير من خير إلى خير يصير، وأمته إلى خير يصيرون » [٢٠] .

[١٩] [الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١٦٣)] .

[٢٠] [المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٤٠، رقم:٧٦٢٩)] .

بشارة عيسى بن مريم :

روىٰ الهيثمي عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ...>[٢١] .

قلت : وبشرىٰ سيدنا عيسىٰ عليه السلام جاءت في الإنجيل بأكثر من موضع، بل إن غالب آيات الإنجيل غير المحرف جاءت بالبشارة به، جاء في إنجيل برنابا: «اني حقا أُرسلت الىٰ بيت إسرائيل نبي خلاص، ولكن سيأتي بعدي «مَسِيَّا» المرسلُ من الله لكل العالَم الذي لأجله خلق الله العالَم، حينئذ يسجد لله في كل العالَم، وتُنال الرحمة، حتىٰ أن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سيجعلها «مَسِيَّا» كل سنة في كل مكان[٢٢].

وجاء فيه: إن إسماعيل بن إبراهيم هو الذي يأتي من سلالته «مَسِيَّا» الموعود به إبراهيم وبه تتبارك كل قبائل الأرض[٢٣] .

وجاء في (ص: ٥٣): «لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه، «أحمد» لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه «مَسِيَّا»، الذي خُلق قبلي، وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية» .

(٢١) [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ٢٢٣، رقم:١٣٨٤٥)] .

(٢٢) (ص:١٠١) .

(٢٣) (ص:٢٤٥) .

ولنقتصر بهذه النصوص ببشارة سيدنا عيسى به، وقد اختصر الله تعالى ذلك كله بآية في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ {الصَّف:٦}

قلت: «مسيًّا» كلمة عبرية، معناها المسيح، أي الصائم، وهو وصف رسول الله ﷺ في كتب بني إسرائيل، فإن كلمة مسيح صيغة مبالغة من السياحة، جاء في إنجيل يوحنا: قد وجدنا «مَسِيًّا» الذي تفسيره المسيح [٢٤].

شرف نسبه :

أخرج البيهقي وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة] فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ [الواقعة] فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {الحجرات:١٣} وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً

[٢٤] [يوحنا (١: ٤١)].

وذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ {الأحزاب:٣٣} فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب < [٢٥].

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبرئيل: قلبتُ الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، ولَم أجد بني أب أفضل من بني هاشم< [٢٦] .

صيانة هذا النور من دنس الجاهلية:

لقد صان الله تعالى حبيبه ﷺ من كل ما يشينه، فلم يحمل نورَه إلا كلُّ موحد لله تعالى، رجالا ونساءا، وكان آباؤه كلهم على الفطرة، يتزوج أحدهم زواج السنة التي شرعها الله تعالى، فلم يُحفظ عن واحد منهم أنه قارف إثما، رغم انتشار الرذيلة في تلك المجتمعات، وانتشار أنواع الزواج غير الذي شرعه الإسلام .

أخرج البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأُخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولَم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا < [٢٧] .

[٢٥] [دلائل النبوة (١/ ١٧٠)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٣٣١)] .

[٢٦] [دلائل النبوة (١ / ١٧٦)] .

[٢٧] في [دلائل النبوة (١/ ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٤٨)] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدتني بغيٌّ قط، منذ خرجت من صلب آدم، ولَم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر، حتىٰ خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة >[٢٨] .

الشاهد: صيانة نبي الله صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عن عهر الجاهلية، وقوله: >خيركم أبا< يعني أن أباه، أو تقول: سلسلة آبائه هم خيار أقوامهم، والخيرية لا تثبت لمشرك، دليل أنهم موحدون، علىٰ ملة إبراهيم حنيفا وما كانوا من المشركين، وفيه رد علىٰ من قال بأن أبويه مشركان .

سلسلة الآباء الشريفة

بعد هذا العرض السريع عن الحقيقة المحمدية، وأنه ﷺ كان نوراً في أصلاب السَّاجِدين، وأن الله تعالىٰ شرَّف كل من حمله في صلبه من سلسلة الآباء الشريفة، نأتي علىٰ سيرة كل رجل منهم، لنتعرف علىٰ دينه وأخلاقه، إذ بهما يسود الرجل ويشرُف، فإذا تم لنا هذا علمنا أن سلسلة آبائه كلهم كانوا موحدين، علىٰ ملة أبينا إبراهيم، ومن كان علىٰ ملة إبراهيم كان معه في الجنة، لأن التابع يكون مع متبوعه .

فهو السيد الأكرم الذي شَرُفَ الناسُ بوجوده سيدُنا ومولانا محمد:

ابن عبدالله، من زوجه آمنة بنت وهب الزُّهرية القرشية .

ابن عبد المطلب: من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية القرشية .

(٢٨) المصدر نفسه .

ابن هاشم: من زوجه سلمىٰ بنت عمرو النجارية الخزرجية .

ابن عبد مناف: من زوجه عاتكة بنت مرة السُّلمية .

ابن قصي: من زوجه حُبَّىٰ بنت حُلَيل الخزاعية .

ابن كلاب: من زوجه فاطمة بنت سعد، وهي يمانية من أزد شنوءة .

ابن مُرَّة: من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك .

ابن كعب: من زوجه وحشية بنت شيبان من بني فهر أيضا .

ابن لؤي: من زوجه أم كعب ماوية بنت كعب من قضاعة .

ابن غالب: من زوجه أم لؤي سلمىٰ بنت عمرو الخزاعي .

ابن فِهْر: من زوجه أم غالب ليلىٰ بنت سعد من هذيل .

ابن مالك: من زوجه جندلة بنت الحارث من جرهم .

ابن النضِر: من زوجه عاتكة بنت عَدْوَان من قيس عَيْلان .

ابن كنانة: من زوجه بَرَّة بنت مر بن أدّ .

ابن خزيمة: من زوجه عَوانة بنت سعد بن قيس عيلان .

ابن مُدركة: من زوجه سلمىٰ بنت أسلم من قضاعة .

ابن إلياس: من زوجه خِنْدِف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة .

ابن مُضر: من زوجه الرباب بنت جندة .

ابن نزار: من زوجه سَودة بنت عَك .

ابن مَعدّ: من زوجه مُعَانة بنت جوشم من جرهم .

ابن عدنان . عليهم رضوان الله تعالىٰ جميعا .

هذا هو النسب المتفق على صحته عند علماء التاريخ والمحدثين، أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق، فهو نسب شريف كما ترى: آباء طاهرون وأمهات طاهرات، لَمْ يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهديًّا من أوسط العرب نسباً، فهو من صميم قريش التي لها القدم الأولى في الشرف وعلو المكانة بين العرب، ولا تجد في سلسلة آبائه إلا كراما، ليس فيهم مسترذل، بل كلهم سادة قادة ، وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأنا، ولا شك أن شرف النسب، وطهارة المولد من شروط النبوة، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعيّاً بحسب الأصول العربية، ولَمْ ينل نسبَه شيءٌ من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله .

تراجم الآباء الشريفة

اعتمدت في هذه التراجم كتب السير والطبقات، وتوسعت بتراجم البعض، وأوجزت القول في البعض الآخر، حسبما توفر لي من التراجم، وأبدأ بـ :

السيد الوالدُ عبدُ الله عليه السلام :

كان أصغر ولد عبد المطلب، وكان أحب ولده إليه، كان أجمل فتى في قريش وأحب شبابها إليها، وأحسنهم أخلاقا، عاش طاهراً كريما، لَمْ يُرو عنه أنه سجد لصنم قط، وذلك لكريم أخلاقه، وحداثة سنه، لأنه توفي وسنه ثمان عشرة سنة وهو سن التكليف عند بعض الأئمة، ولما جاوز عبد المطلب السبعين، أو ناهزها حين حاول أبرهة مهاجمة مكة وهدم البيت العتيق، كان ابنه عبد اللهّ في الثامنة عشر من عمره، رأى أن يزوّجه،

فاختار له آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيد بني زهرة إذ ذاك سنّاً وشرفا، فخرج به حتىٰ أتىٰ منازل بني زهرة، ودخل وإياه عند وهب، وخطب إليه ابنته، وأقام عبد اللهّ مع آمنة في بيت أهلها ثلاثة أيام، علىٰ عادة العرب حين يتم الزواج في بيت العروس .

قال الحلبي: كان نورُ النبي ﷺ يُرىٰ في وجه عبدالله كالكوكب الدري، حتىٰ شُغفت به نساء قريش، ولقي منهن عناء، قيل: إنه لما تزوج آمنة لَمْ تبق امرأة من قريش: من بني مخزوم، وعبد شمس، وعبد مناف إلا مرضت أسفاً علىٰ عدم تزوجها به، فلما خرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب مر علىٰ امرأة من بني أسد ابن عبدالعزىٰ يقال لها: «قتيلة» وقيل: «رقية» وهي أخت ورقة بن نوفل، وهي عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة أنه كائن في هذه الأمة نبي، وأن من دلائله أن يكون نوراً في وجه أبيه، فقالت لعبدالله لما رأت نور النبوة في غرته: أين تذهب يا عبدالله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثل الإبل التي نُحرت عنك وقع عليّ الآن، قال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وأنشد:

أما الحرامُ فالمماتُ دونَه والحِلُّ لا حلَّ فأَستبينه
يحمى الكريم عَرضه ودينَه فكيف بالأمر الذي تبغينه

وعن أبي يزيد المديني أن عبدالمطلب لما خرج بابنه عبدالله ليزوجه مر به علىٰ إمرأة كاهنة من أهل (تُبالة) وقد قرأت الكتب يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية، فرأت نور

النبوة في وجه عبدالله فقالت له: يا فتى؛ هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبدالله ما تقدم ..

أقول: (أي الحلبي) قال الكلبي: كانت تلك الكاهنة من أجمل النساء وأعفهن، فدعته إلى نكاحها فأبى، ولا منافاة، لأنه جاز أن تكون أرادت بقولها: وقع علي الآن أي بعد النكاح، وفهم عبدالله أنها تريد الأمر من غير سبق النكاح، فأنشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته، فرأت في تلك الكتب: أن النبي ﷺ المنتظَر، يكون نوراً في وجه أبيه، وأنه يكون من أولاد عبدالمطلب، أو أنها ألهمت ذلك فطمعت أن يكون ذلك النبي منها . [٢٩].

فلما تزوج عبد الله ودخل بزوجته مكث عندها ثلاثة أيام، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس؟ فقالت له: فارقك النور الذي كان معك، فأردت أن يكون فيَّ، وأبي الله إلا أن يجعله حيث أراد، إذهب فأخبرها أنها حملت بخير أهل الأرض.

الذَّبيحان:

والذبيحان هما: سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وسيدنا عبدالله بن عبدالمطلب، وقصة ذبحه كما رواها أصحاب السير: أن عبد المطلب رأى في نومه مَن نبهه على حفر بئر زمزم، فلما أراد حفرها حسدته بطون قريش، وهمَّوا أن يَمنعوه، فكفاه الله شرهم، فنذر لئن رزقه الله عشرة من الولد يمنعونه؛ أن يتقرب إلى الله تعالى

[٢٩] [إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المسمى: السيرة الحلبية (١/ ٦٢)] .

بذبح أحدهم، فلما تم العدد عشرة أعلمهم بنذره، فقالوا له: اقض فينا أمرك، وأوف بنذرك، فأسهم بينهم، فخرج السهم على عبد الله، فلما أراد أن يذبحه منعته قريش، لئلا يكون فيهم سُنة، فأفتاه كاهن أن يسهم عليه وعلى عشر من الإبل، حيث كانت العشر عندهم دية الرجل، ففعل، فخرج السهم على عبد الله، فقال له الكاهن: زد عشرا، فإنّ ربك لَم يرض فزاد عشرا، فخرج السهم على عبد الله، فقال: زد عشرا، فزاد عشراً، فلم يزل يَخرج السهم على عبدالله حتى بلغ العدد مائة، فخرج السهم على الإبل، فقال له: أعد القرعة فأعادها، فخرج السهم على الإبل، ثم أعادها فخرج على الإبل، فقال له: قد رضى ربك، فانحرها فداء عن ابنك، ففعل، فاستمرت الدية في قريش مائة من الإبل، ثم جاء الشرع فقررها دية لكل مسلم من المسلمين[٣٠] .

[قالوا] :

إن عبد المطلب ذبح الإبل قربانا للأصنام، ليبرروا قولهم أنه في النار .

[الجواب] :

لو كان ذبحها للأصنام لَم يقرها شرعنا، وجعلها دية لكل مسلم، لأن ديننا لا يقر الشرك، ومن جهة أخرى: أن المدّعي لَم يأت بدليل على صحة قوله، بل إن الدليل على عكس ما قال، فكتب السير بين أيدينا، وكلها أجمعت على أن الذبح كان لله، ونحرها عند الكعبة وفاء لنذره، ونص نذره كان: «لئن رزقني الله عشرة من الولد لأذبحن أحدهم شكراً لله» هذا هو نص النذر ، فقوله: «رزقني الله» إشارة منه على أنه موحد لَم يعبد صنما، وقوله: «شكراً لله» دليل أنها لم تكن للأصنام، بل تفيد أنه حقق نذره

(٣٠) [حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص: ٩١)] .

وذبحها الله عند بيته المحرم، ولَمْ يأكل منها شيئا، وتركها طعاماً للناس لا يصدهم عنها أحد .

وروىٰ الحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين »[٣١].

الشاهد في الحديث: إعلام النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم بنسبه الشريف مشيراً للمدح، ابتداءً بوالده عبد الله، وانتهاء بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، واقتران اسم والده عبد الله بسيدنا إسماعيل دليل أنه علىٰ ملته، إذ لا يمدح النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم كافرا .

وفاة سيدنا عبدالله :

ولَمْ يلبث عبد الله أن توفي بعد أن حملت منه آمنة، ودُفن بالمدينة عند أخواله بني "عدي بن النجار"، فإنه كان قد ذهب بتجارة إلىٰ الشام، فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع، وترك هذه النسمة المباركة، وكأن القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة وهذا الجنين الطاهر يتولىٰ الله عز وجل بِحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلىٰ النور .

(٣١) [المستدرك على الصحيحين (٤٠٤٨)] .

السيدة الوالدة رضي الله عنها

نسبها :

السيدة المكرمة، العفيفة الشريفة، الحسيبة: آمنة بنت وهب بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر؛ وفهر هم قريش. فتجتمع مع النبي ﷺ بكلاب، إذ إن زهرة جدها، شقيق قصي جد النبي ﷺ حيث أنجب قصي: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزىٰ وأنجب عبد مناف: عبد شمس، ونوفل، وهاشم، والمطلب، وخويلد .

وأنجب هاشم عبد المطلب الذي أنجب عبد الله والد رسول الله ﷺ وجدها لأبيها هو عبد مناف بن زهرة الذي يقرن اسمه باسم ابن عمه عبد مناف بن قصي فيقال: المنافان تعظيماً وتكريما .

ولَم يكن نسب آمنه من جهة أمها دون ذلك عراقة وأصالة فهي: ابنة برة بنت عبد العزىٰ، بن عثمان، بن عبد الدار، بن قصي، بن كلاب .

وجدتها لأمها: أم حبيب بنت أسد، بن عبد العزىٰ، بن قصي، ووالدة أم حبيبة هي: برة بنت عوف، بن عبيد، بن عويج، بن عدي، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، سلالة عريقة أصيلة، أنبتت آمنة لتضطلع بعبئها الجليل في أمومتها التاريخية، وراثات مجيدة أهدتها إلىٰ ولدها، فجمعت له عز المنافين: عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وعبد مناف بن قصي بن كلاب، عبر عنه النبي ﷺ فقال: «لَم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة، إلىٰ الأرحام الطاهرة، مصفىً مهذبا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» .

البشرى :

قال الماوردي: لما حملت آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ حدَّثت أنها أُتيت فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا.

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرىٰ من أرض الشام، قالت أم عثمان بن العاص: شهدت ولادة آمنة برسول الله ﷺ وكان ليلاً فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإنني أنظر إلى النجوم تدنو، وإني أقول: لتقعن علي، ولما وضعته تركت عليه في ليلة ولادته جفنة فانقلبت عنه فكان من آياته أن لَم تحوه، وأرسلت إلى جده عبد المطلب: أن قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فأتاه ونظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه، وما أُمرت أن تسميه، فأنشأ يقول:

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
أعيذه بالواحد المنَّان
من كل ذي عيب وذي شنآن
حتى أراه شامخ البنيان

وفي حادثة شق الصدر تخوفت حليمة عليه، فأعادته الى أمه فقالت: ما هذا شأنك فاصدقيني فأخبرتها حليمة بحاله وقالت: تخوفت عليه الشيطان، فقالت أمه: كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإن له لشأناً، وإني رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور بصرىٰ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يده بالأرض رافع رأسه في السماء، دعيه فانطلقي راشدة وفي هذا الخبر من آياته ما تجعل والدته تؤمن بنبوته قبل مبعثه [٣٢] .

وفاتهـــا :

وما هي إلا أيام معدودات لَم تتجاوز عشرة أيام، إلا ورحل عبد الله تاركاً عروسه ليلحق بالقافلة التجارية المسافرة إلىٰ غزة والشام في عير قريش، ومضىٰ شهر لا جديد فيه سوىٰ أن آمنة شعرت بالبادرة الأولىٰ للحمل، وكان شعورها به رقيقاً لطيفاً، وكأن المولود قد هوَّن عليها مرارة فراق زوجها عبد الله، زهرة شباب أهل مكة، ومضىٰ الشهر الثاني ولَم يعد عبد الله، لقد توفي الزوج الحبيب بين أخواله من بني النجار، ودفن هناك وترملت العروس الشابة، وعاشت في وحدتها تجتر أحزانها، حتىٰ خاف عليها بنو هاشم وبنو زهرة أن تموت من فرط الحزن والألَم، إلىٰ أن أنزل الله سكينته عليها، فشغل تفكيرَها ابنُها الذي تحمله، والذي رأت في منامها أنه سيكون سيد هذه الأمة .

(٣٢) [أعلام النبوة (ص: ٢٤٠)]

قال السيوطي: أخرج أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله ﷺ في علتها التي ماتت فيها، ومحمد غلام يفع، له خمس سنين، عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بـــارك فـــيك الله مـــن غـــلام
يا ابن الذي من حومـة الحِـــمام
نـَجـا بعـــون الملك الـمنعـــــام
فُـــودي غـــداة الضرب بـالسهام
بِمـــائـة مـــن إبـــل ســـــوام
إن صـحَّ ما أبصـرتُ في الـمـنام
فـأنت مبعـــوث إلـى الأنـــــام
مـن عـند ذي الجلال والإكرام
تُـبعث في الـحِل وفـي الحـــرام
تُـبعث بـالتحقيـــق والإســـلام
ديـــن أبـيك البـــرِّ إبراهـــــام
فـالله أنهـــاك عـــن الأصـــنام
أن لا توالـــيها مـــع الأقـــــوام

ثم قالت: كل حيّ ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا، ثم ماتت، فكنا نسمع نوح الجن عليها، فحفظنا من ذلك هذه الأبيات:

نـبكي الفــتاة الـبَرَّةَ الأميــنة
ذات الجمـال العفــة الرزيــنة
زوجـــة عبـد الله والقـريــنة
أم نبـي اللـه ذي السكيــنة
وصاحب الـمنبر بالـمديــنة
صارت لدى حفـرتـهـا رهيـنه
لـو فـوديت لفــوديت ثمـينه
وللمـنايـا شـــفرة سنيــنه
لا تبـقي ظـعانا ولا ظعيــنة
إلا أتـت وقطــعت وتيـــنه
أمـا هلـكت أيـهـا الحزيـنة
فـكـلنـا والِـهـــة حزيـــنه
نبكـيك للعطلـة أو للزيــنه
وللضعيفـــات وللمسكيـنة

قلت:

إن المتأمل في شعر السيدة آمنة، يجدها مسلمة موحدة، معترفة بأن ولدها سيكون رسول البشرية من عند الله تعالى، وسوف يُحي ملة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم ختمت شعرها بوصية لولدها وهي النهي عن عبادة الأصنام، وإياك وموافقة قومك بهذه الرزية، فليس بعد هذا الإقرار بالتوحيد توحيد، وليس بعده إسلام إلا تطبيق الأحكام الشرعية، فمن حكم بكفرها فقد أبعد النجعة، وتسبب بأذية سيدنا رسول الله ﷺ وتقول عليها ما لَمْ تقله [٣٣] .

عبد المُطَّـــلب

واسمه شيبة، لِما تمتع به من كريم السجايا والأخلاق، حتى شكره الناس عليها فسموه شيبة الحمد.

ذكر الزبير أن شيبة إنما سمي عبد المطلب؛ لأن عمه المطلب لما قدم به من يثرب، ودخل به مكة ضحوة، مردفه خلفه والناس في أسواقهم ومجالسهم، قاموا يرحبون به ويقولون: من هذا الذي معك؟ فقال: عبد لي ابتعته بيثرب، فلما كان العشية ألبسه حلة ابتاعها له، ثم أجلسه في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره، فجعل بعد ذلك يخرج

(٣٣) انظر ترجمتها في [سيرة ابن اسحاق (ص: ٤٢)، سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ١٥٦)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٤٤)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٣٥)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٣٨)، أعلام النبوة للماوردي (ص: ١٧٩)، دلائل النبوة للبيهقي محققا (١/ ٨٢)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٥٩)، الروض الأنف ت السلامي (١/ ٢٦٩)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (١/ ٢٥)] وغيرها من كتب السيرة .

في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فيقولون: هذا عبد المطلب، لقول المطلب فيه ذلك، فلجّ اسمه " أي غلب " عبد المطلب وترك شيبة .

ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم من أمرهم قبله، وشرف في قومه شرفاً لَمْ يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم، ويقال: كان يُعرف في عبد المطلب نور النبوة وهيبة الملك . عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث جدي عبدالمطلب في زي الملوك وأبهة الأشراف» [٣٤] .

رؤيا عبد المطلب :

أخرج غير واحد عن أبي طالب كان يحدِّث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحجر، رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديدا، فأتيت كاهنة قريش فقلت لها: إني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت، قد نال رأسُها السماء، وضرب بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أظهر منها، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا، ورأيت العرب والعجم ساجدين، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعا، ساعة تخفىٰ وساعة تظهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب لَمْ أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحا، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فلم أنل، فقلت: لِمن النصيب؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها، فانتبهت

[٣٤] [السيرة الحلبية (١٨٤/١)] بدون إسناد .

مذعوراً فزعا، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس[٣٥].

قلت: الشجرة؛ هو سيدنا محمد صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم الذي جاء بدين الإسلام، ورمز للشجرة لأنها خير كلها، فالناس ينعمون بظلها من حر الشمس، ويتمتعون برؤية منظرها البهيج الذي تكسو الطبيعة جمالآ، وإذا أثمرت أكل الناس من ثمرها، وهي مع ذلك إذا ضربت بالحجر، تنزل علىٰ الناس الثمر، فهي رحمة، وأما النور الذي ازدانت به فهو القرآن، وعبد المطلب حاول أن يأخذ بغصن منها وهو الإيمان، إلا أنه لم يستطع فقد عاجله الموت، وهي إشارة لتوحيده، وأنه آمن برسالة النبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم قبل وجودها، يؤيده ما في بشارة ملك اليمن .

بشارة ملك اليمن :

أخرج البيهقي عن أبي زرعة قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن علىٰ الحبشة، وذلك بعد مولد النبـي ﷺ بسنتين، أتوه وفود العرب وأشرافُها وشعراؤها لتهنِّئه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، وأتاه وفد قريش منهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدعان، وأسد بن عبد العزىٰ، ووهب بن عبدمناف، وقصي بن عبد الدار، فدخل عليه آذِنُه وهو في رأس قصرٍ يقال له غُمدان، قال: والملك متضمخ بالعبير يلصف وبيص المسك في مفرق رأسهِ، وعليه بردان أخضران، مرتدياً بأحدهما متزراً بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك والمقاول، فأُخبر بمكانهم فأذن

(٣٥) [سبل الهدى والرشاد (١/ ١٣٠)، والدلائل (٥٢) لأبي نعيم] .

لهم فدخلوا عليه، ودنا منه عبدالمطلب، فاستأذنه في الكلام فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنَّا لك، فقال: إن الله عز وجل، أحلك أيها الملك، محلاً رفيعاً شامخاً باذخاً منيعاً، وأنبتك نباتاً طابت أرومتُه، وعظمت جرثومتُه، وثبت أصله وبسق فرعه، في أطيب موضع وأكرم معدِن، وأنت ـ أبيت اللعن ـ ملك العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يهلك ذكرُ مَن أنت خلفه، ولن يَخمل ذكرُ مَن أنت سلفه، نحن أهل حرم الله تعالىٰ وسدنة بيت الله، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزأة .

قال له الملك: ومن أنت أيها المتكلم؟ قال أنا عبد المطلب بن هاشم، قال ابن أختنا؟ قال: نعم، قال ادنه، ثم أقبل عليه وعلىٰ القوم فقال: مرحباً وأهلاً، وناقةً ورحلا، ومُستناخاً سهلا، وملِكا رِبحلا، يعطي عطاء جزلا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فإنكم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم .

ثم أُنهضوا إلىٰ دار الضيافة والوفود، وأجري عليهم الأنزال فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الانصراف، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلىٰ عبد المطلب فأدناه ثم قال: يا عبدالمطلب، إني مُفضٍ إليك من سر علمي أمرا، لو غيرك يكون لَمَ أبح له به، ولكني رأيتُك معدنَه فأطلعتك طلعه، فليكن عندك مَخبيا حتىٰ يأذن الله عز وجل فيه، إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي ادخرناه لأنفسنا،

واحتجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيما، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سرَّ وبرَّ، فما هو فداك أهل الوبر، زمراً بعد زُمر؟ قال: إذا وُلد بتهامة غلامٌ بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب: أيها الملك لقد أُبتُ بخيرِ ما آب بمثله وافدُ قوم، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه، لسألته من سراره إياي ما ازداد سرورا .

قال له الملك: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد وُلد، اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مرارا والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يُعزُّ بهم أولياءه ويُذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم أهل الأرض، يعبد الرحمن ويدحض الشيطان، ويُخمد النيران ويكسر الأوثان، قوله فصل وحكمه عدل، ويأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال له عبد المطلب: عزَّ جدُّك ودام ملكك وعلا كعبك، فهل الملك سارَّني بإفصاح، فقد وضح لي بعض الإيضاح ؟

قال له الملك سيف بن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النقب، إنك لجده يا عبد المطلب غير ذي كذب، قال: فخرَّ عبدُ المطلب ساجداً له، فقال له ابن ذي يزن: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا كعبك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك؟ قال: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن وكنت به معجبا، وعليه رفيقا، وإني زوجته كريمةً

من كرائم قومي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام فسميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه .

قال له ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحفظه واحذر عليه من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تتداخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرئاسة، فينصبون له الحبائل، ويبغون له الغوائل، وإنهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه، لسرت بِخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سِنِّه أمرَه، ولأوطأت على أسنان العرب كعبه، ولكن سأصرف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك [٣٦] .

قلت: هذه البشارة من ملك اليمن، مع الرؤيا التي رأى عبد المطلب؛ هي من أهم دواعي الإيمان برسالة النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقد آمن به قبل مبعثه، زيادة على ما أكرمه الله به من ديانة التوحيد، وملة إبراهيم عليه السلام، دل على ذلك استسقاء الناس به، ونزول المطر بدعائه، واستسقائه هو بالنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو غلام لم يتجاوز الثامنة .

(٣٦) [دلائل النبوة (٢/ ٩)] .

حفـر بـئر زمـزم :

وكانت جرهم دفنتها >أي زمزم< حين ظعنوا من مكة بين صنمي قريش: إساف ونائلة عند منحر قريش، فبقي أمرها كذلك إلى أن أُمر عبد المطلب بن هاشم بحفرها .

أخرج ابن سعد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحِجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة قلت: وما طيبة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برة، فقلت: وما برة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة قلت: وما المضنونة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تُذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل .

فلما بيَّن له شأنها، ودُل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بِمعوله ومعه ابنه الحارث، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر، فلما بدا لعبد المطلب الطي كبّر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر خُصصتُ به دونكم، وأُعطيتُه من بينكم، قالوا له: فأنصِفْنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: اجعلوا بيني وبينكم من شئتم نحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، قال: نعم وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز .

قال: فخرجوا حتىٰ إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتىٰ أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة ونحن نخشىٰ علىٰ أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأىٰ عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف علىٰ نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت، ثم قال: والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت، لا نضرب في الأرض ونبتغي عجز، فقال لأصحابه: ارتحلوا، فارتحلوا، وارتحل، فلما جلس علىٰ ناقته، وانبعثت به، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب، فأناخ وأناخ أصحابه، فشربوا، واستقوا وسقوا، ثم دعوا أصحابهم: هلموا إلىٰ الماء، فقد سقانا الله عز وجل، فجاؤوا فاستقوا وسقوا، ثم قالوا: يا عبد المطلب، قد والله قضىٰ لك، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة، لهو الذي سقاك زمزم، انطلق، فهي لك، فما نحن بمخاصميك[٣٧].

عبد المطلب وأبرهة :

إن أبرهة بنىٰ القليس بصنعاء، فبنىٰ كنيسة لَمْ يُر مثلها في زمانها، فكتب إلىٰ النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لَمْ يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بِمنتهٍ حتىٰ أصرف إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلىٰ النجاشي غضب رجل من النسأة، أحد بني فقيم بن عدي بن عامر من كنانة، فخرج الكناني حتىٰ أتىٰ

(٣٧) [سيرة ابن اسحاق (ص: ٢٣)، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٨٥)، الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٦٦)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء (١/ ١٠١)].

القليس فقعد فيها، >يعني أحدث فيها< ثم خرج، فلحق بأرضه فأُخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا ؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك: أصرف إليها حج العرب، غضب فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فلما وصل الطائف بعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب، فلما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له حاجتك؟ فقال حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني، ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني

فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك [٣٨] .

عبد المطلب يستغيث بالله :

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش، فأخذ بِحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهـمَّ إن العــبد يــمـ نع رحله فامنع حلالك
لا يغلــبنَّ صليبُــهم ومِـحالُهم غـدواً مِحالك
وانصر على آل الصليب وعابــديـه الـيوم آلك

قوله: «لاهمّ» إن العرب تحذف الألف واللام من اللهم، وتكتفي بما بقي، وكذلك تقول: لاه أبوك، تريد لله أبوك، ومعنى كلامه: اللهم إن أحدنا يحمي زوجته وأولاده لأنهم في كفالته، وأن هذا البيت هو بيتك المعظم، ونحن عاجزون عن حمايته فاحمه يا رب، حتى لا يغلب صليبُ الكفر بيتَ التوحيد .

(٣٨) [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٠)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢١٨)، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/ ٦٠)]

فهذا اعتراف منه وإقرار بألوهية الله تعالى ووحدانيته، وأنه هو القادر على النصر، وأن الصليبَ شعارُ الكفر، وهم لا يعترفون بإله غير الله تعالى.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل «محمود» وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نُفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر معها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا[٣٩].

قريش تستسقي بعد المطلب :

عن رقية بنت أبي ضبعي بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم، فبينا أنا نائمة مهمومة إذا هاتف يصرخ بصوت صخب يقول: يا معشر

(٣٩) [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٢)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢١٩)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ١٩٠)].

قريش، إن هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامُه، وهذا إبان نجومه فحيهلا بالحياء والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً جسيماً أبيض، بضاً أوطف الأهداب، سهل الخدين، أشم العرنين، له فخر يكظم عليه، وسنه يهدي إليه، فليخلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن، ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤم القوم فغثتم ما شئتم .

فأصبحتُ ـ علم الله تعالىٰ ـ أني مذعورة فاقشعر جلدي، ووله عقلي واقتصصت رؤياي، فو الحرمة والحرم، ما بقي بها أبطحي إلا قال هذا شيبة الحمد، يعنون عبد المطلب، فتتامت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل، فسنوا ومسوا واستلموا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهلة حتىٰ استووا بذروة الجبل، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم غلام حين أيفع أو قرب فقال : اللهم سادَّ الخلة، وكاشفَ الكربة، أنت معلِّم غيرُ معلَّم، ومسئولٌ غير مبخل، وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرمك، يشكون إليك سنتهم، أذهبت الخف والظلف، اللهم فامطر علينا غيثاً مغدقاً مريعاً .

فو الكعبة ما راحوا حتىٰ تفجرت السماء بِمائها، وسال الوادي بثجيجه، فسمعت شيوخاً من قريش وأجلتها: عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك أبا البطحاء، أي عاش بك أهل البطحاء [٤٠] .

[٤٠] [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٢٨١)، دلائل النبوة للبيهقي محققا (٢/ ١٦)] .

عبد المطلب على ملة إبراهيم :

كان عبدالمطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور، وكان يقول: لن يَخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لَمْ تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطلب في ذلك، ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار دارا، يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقَب المسيء بإساءته، فالظالم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولَمْ تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة .

ورفض عبادة الأصنام، ووحد الله سبحانه وتعالى، وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها منها:

الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عُريان [٤١] .

قلت: إنما توسعت في ترجمة عبد المطلب، وولده عبد الله وزوجه آمنة، لأنهم السبب في هذا التأليف، فقد رماهم البعض بالكفر والشرك، وأنهم من أصحاب النار خالدين فيها، بنوا حكمهم هذا على أدلة ظنية .

فمما عرفناه من سيرة هؤلاء أنهم كانوا مسلمين، على ملة ابراهيم، رفضوا عبادة الأصنام، واعترفوا لله تعالى بالوحدانية، وحرموا على أنفسهم المحرمات التي نهى عنها الإسلام، وتحلوا بمكارم الأخلاق التي جاء رسول الله ﷺ ليتممها .

(٤١) [السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٩)] .

وكذلك ما رأوه من الإرهاصات والآيات الدالة على نبوة رسول الله ﷺ وما أخبر به ملك اليمن عبد المطلب، كل ذلك كانت وسائل لترسيخ قواعد الإيمان بالله تعالى، زيادة على عدم تكليفهم لأنهم عاشوا وماتوا في زمن الفترة .

هاشـــم:

واسمه عمرو، وإنما سمي هاشماً لكثرة إطعامه الثريد في المجاعة، وفيه يقول الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وبلغ في الكرم مبلغاً عظيماً حتى إنه كان يطعم الوحش والطير، فينحر لها في رؤوس الجبال، وكان إذا وقع القحط جمع أهل مكة وأمر الموسرين منهم بالإنفاق على فقرائهم، حتى يأتي الله بالغيث، ثم أنه وفد الشام على قيصر، فأخذ منه كتاباً بالأمان لقريش، وأرسل أخاه المطلب إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم كتاباً أيضا، ثم أمر تجار قريش برحلتي الشتاء والصيف، فكانوا يرحلون في الصيف إلى الشام لشدة برده، وفي الشتاء إلى اليمن، فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة، وأنقذهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم، وفي ذلك أيضاً أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [٤٢] .

كان هاشم رجلاً موسرا، وكان يقوم أول يوم في ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها فيخطب فيقول: يا معشر قريش؛ أنتم سادة العرب أنسابا، وأنتم أقرب

[٤٢] [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ١٣٦)، الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٥٦)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص: ٩٣)] .

العرب بالعرب أرحاما، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله، أكرمكم الله تعالىٰ بولاية بيته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، حفظ منكم أحسن ما حفظ جارٌ من جاره فأكرِموا ضيفه وزوار بيته، فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد علىٰ ضوامر كالقداح، وقد أرحضوا وثفلوا وقملوا وأرملوا، فاقروهم وأعينوهم، ولو كان لي مال يحمل ذلك كله كفيتكموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم تقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يُخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيِّباً لم يؤخذ ظلما، ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا [٤٣].

فكانت بنو كعب بن لؤي كلها تجتهد في ذلك، ثم يخرجون ذلك من أموالهم حتىٰ إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير علىٰ قدرهم، وكان أهل اليسار منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية فيأتون به هاشماً فيضعونه في داره >دار الندوة< .

وكان هاشم يُخرج في كل سنة مالاً كثيرا، وكان يأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم ثم يستقي فهيا من الآبار التي بمكة، فيشرب الحاج، وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل التروية بيوم مكة، وبمنىٰ وبجمعٍ >مزدلفة< وعرفة، وكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء، ويفرق الناس لبلادهم .

وكان من أحسن الناس وأجملهم، وكانت العرب تسميه قدح النضار والبدر.

[٤٣] [الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٩٥)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٧٠)] .

قال أبو سعد النيسابوري في >الشرف< : كان النور يرىٰ علىٰ وجهه كالهلال يتوقد، لا يراه أحد إلا أحبه وأقبل نحوه. وبعث إليه قيصر رسولا ليتزوج ابنته لما وجد في الإنجيل من صفته فأبىٰ. توفي هاشم في غزة وله من العمر خمس وعشرون سنة[٤٤] .

عـبد منـاف :

واسمه المغيرة، كان يسمىٰ قمر البطحاء لصباحته وجماله، وهو الذي قام مقام أبيه قصي بالسيادة وسقاية الحاج، وقام أخوه عبد الدار بسدانة البيت والرفادة، أي: إطعام الحجيج في دار الندوة التي بناها قصي، وأخوه عبد العزىٰ بآلات الحرب من السلاح والكراع بوصية إليهم من أبيهم قصي، ساد في حياة أبيه، وكان مطاعاً في قريش، وإياه عني القائل بقوله:

يـا أيها الرجـل الـمحول رحلـه هـلا نـزلت بـآل عـبد مـناف
هبلتك أمُّك لـو نزلت بحيـهم منعـوك مـن عدم ومن إقراف
الآخـــذون العهد مـن آفاقـها والراحلـــون لرحـــلة الإيـلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجـال مـكة مسنتون عجاف
والمفضلون إذا المحـول ترادفت والقـائلـــون هـلـــمَّ للأضـياف
والخالطـون غنيَّهم بفقيرهـــم حـتى يعـــود فقـــيرهم كالكـافي
كانت قريـش بيـضة فتفلقت فالـمُحُّ خالصـة لعـبد مـــناف

(٤٤) [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٧٠)] .

والمُح: صفرة البيض .

قال البلاذري: وزعموا أنه وجد كتاب في حجر: أن المغيرة أوصىٰ قريشاً بتقوىٰ الله وصلة الرحم [٤٥] .

قصـيّ [٤٦] :

واسمه زيد، تزوج أبوه كلاب بن مرة من فاطمة بنت سعد بن سيل، فولدت له زُهرة وقصيا، وزُهرة هذا هو جد آمنة بنت وهب، وقصي جد عبد الله، فهما أبناء عمومة وخئولة .

قدم قصي مكة فحج وأقام، فعرفت له قريش قدره وفضله وعظمته، وأقرَّت له بالرياسة والسؤدد، وكان أبعدَها رأيا وأصدقها لهجة وأوسعها بذلا، وأبينها عفافا، وكان أولَ مال أصابه: مالُ رجل قدم مكة بأدم كثير فباعه، وحضرته الوفاة ولا وارث له فوهبه لقصي ودفعه له .

كان يسمىٰ مجمعا، لأنه أول من جمع قريشا من البوادي إلىٰ سكنىٰ مكة، وأخرج خزاعة منها، وفيه يقول الشاعر :

(٤٥) انظر ترجمته في: [تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ٢٥٤)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٦٢٠)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٣/ ١٩)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٥٢)] .

(٤٦) انظر ترجمته في: [الطبقات الكبرى ط العلمية (١/ ٥٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٥٩)، السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٨٧)، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/ ١٣)].

أبوكم قصي كان يُدعى مُجمعا بـه جمـع اللهُ القبائـلَ مـن فهر

وذلك أن سيد خزاعة شرب ليلة مع جماعة فنفد شرابه فقال: من يشتري مني سدانة البيت بزق خمر، فاشتراها قصي وأشهد عليه، وفي ذلك يقول الشاعر:

باعت خزاعةُ بيتَ الله إذ سكِرَتْ بِـزقٍّ خمرٍ فبئْسَتْ صفقةُ البادي
بـاعت سدانـتَها للبيتِ وانتقلتْ عن المقـام وظل البيت والنادي

وكانت خزاعة مستولية على الأبطح، وكانت قريش تنزل الشعاب والجبال وأطراف مكة وما حولها، فخطب قصي إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حُـبَّى، فعرف حليل نسبه فزوجه ابنته، وحليل يومئذ يلي الكعبة وأمر مكة .

فأقام قصي معه وولدت له حُـبَّى أولاده، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل، وأوصى بولاية البيت لابنته حبى فقالت: لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعل ذلك لأبي غُبشان، واسمه المحترش بن حليل، وكان في عقله خلل، فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وقعود، فضربت به العرب المثل فقالت: أخسر صفقة من أبي غبشان ! فلما أخذ قصي مفتاح البيت، وولي أمر الكعبة ومكة، جمع قومه من منازلهم إلى مكة فملكوه عليهم، ولَم تكن مكة بها بيت في الحرم، وإنما كانوا يكونون بها حتى إذا أمسوا خرجوا لا يستحلون أن يصيبوا فيها جناية، ولَم يكن بها بيت قديم.

فلما جمع قصي قريشاً قال لهم: هل لكم أن تصبحوا بأجمعكم في الحرم حول البيت؟ فوالله لا يستحل العرب قتالكم، ولا يستطيعون إخراجكم منه، وتسكنونه فتسودوا العرب أبدا . فقالوا: أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك، فجمعهم ثم أصبح بهم في الحرم حول الكعبة .

وكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية والرفادة والندوة واللواء [٤٧]، وحاز شرف مكة كله جميعا، وبنى دار الندوة، والندوة في اللغة: الاجتماع، لأنهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغير ذلك، فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر إلا في داره، ولا يعقدون لواء حرب إلا فيها، يعقدها لهم قصي أو بعض بنيه.

قال أبو عبيدة: ولما ولي قصي أمر مكة قال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وجيران بيته، وأهل حرمه، وإن الحاج زوار بيت الله، فهم أضياف الله، وأحق الأضياف بالكرامة أضياف الله فترافدوا، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا، ولو كان مالي يسع ذلك قمت به، ففرض عليهم خرجاً تخرجه قريش من أموالها، فتدفعه إليه فيصنع به طعاماً وشراباً ولبنا وغير ذلك للحاج بمكة وعرفة، فجرى ذلك من أمره حتى قام الإسلام .

(٤٧) الحجابة: كسوة الكعبة . والسقاية: سقاية الحجيج وتزويدهم بالماء، والرفادة: وهي القيام بشؤون ضيافة الحجاج، وإطعامهم . والندوة: هي أشبه بالبرلمان في أيامنا، وهي الاجتماع لاتخاذ القرارات . وأما اللواء: فهو اتخاذ قرار الحرب .

قال السهيلي رحمه الله تعالى: وكان قصي يسقي الحجيج في حياض من أدم، ينقل إليها الماء من بئر ميمون وغيرها خارج مكة، وذلك قبل أن يحفر العجول[٤٨] .

وروى البلاذري عن معروف بن خربوذ وغيره قالوا: كانت قريش قبل قصي تشرب من بئر حفرها لؤي بن غالب خارج مكة، ومن حياض ومن مصانع [٤٩]على رؤوس الجبال، ومن بئر حفرها مرة بن كعب مما يلي عرفة. فحفر قصي بئراً سماها «العجول»، وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة.

ويروى أن قصيا قال للأكابر من ولده: من عظّم لئيماً شركه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحاً شركه فيه، ومن لَمَ يصلحه كرامتكم فداووه بهوانه، فذاك دواء يحسم الداء .والعِي عِيَّان: عِيٌّ إفحام، وعي المنطق بغير سداد، والحسود: العدو الخفي، ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان.

وقصي أحدث وقود النار بالمزدلفة ليراها من دفع من عرفة.

وقسم قصي مكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والندوة، فكانت فيه النبوة والثروة . وأعطى عبد الدار الحجابة واللواء.

وأعطى عبد العزى الرفادة والضيافة أيام منى، فكانوا لا يُجيزون إلا بأمره، فسادت بنو قصي الثلاثة. ومات قصي بمكة، فأقام بنوه أمر مكة بعده في قومهم، ودفن بالحجون، فتدافن الناس بعده بالحجون .

(٤٨) العجول: الآبار، التي كانوا يستقون منها، ويسقون الحجيج، وقصي هو أول من حفرها في مكة .

(٤٩) المصانع: ما يصنعه الناس من الأبنية والآبار، والأشياء الأخرى .

كِـــــلاب [٥٠] :

واسمه حكيم، قال بعض العرب:

حكيمُ بنُ مُرَّة ساد الورى ببذلِ النَّوالِ وكفِّ الأذى

ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد، وأكثر صيده كان بالكلاب، وهو الجد الثالث لآمنة أمه ﷺ ففي كلاب يَجتمع نسب أبيه وأمه .

وهو أول من جعل السيوف المحلاة بالبيت، وذلك أن سعد بن سيل جد ابنه قصي لأمه، هو أول من حلى السيوف بالذهب والفضة، وأهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة أم قصي سيفين محليين، فجعلهما كلاب في خزانة الكعبة .

مُـــــرَّة [٥١] :

وكنيته أبو يقظة، وأمه مخشية، ويقال: وحشية، بنت شيبان بن محارب بن فهر، وله من الولد ثلاثة: كلاب وتيم، رهط أبي بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم. ويقظة المكنى به، ومنه بنو مخزوم، وأمهما البارقة.

(٥٠) انظر ترجمته في [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٧٧)، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٢٥)] .

(٥١) انظر ترجمته في: [الطبقات الكبرى لابن سعد ط العلمية (١/ ٥٤)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٤٧)] .

كعـــب [٥٢] :

وأمه ماويَّة بنت كعب بن القين القضاعية. وكان كعب يَجمع قومه يوم العروبة أي يوم الرحمة، الذي هو يوم الجمعة، فكانت قريش تجتمع إلى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم بأنه من ولده، ويأمرهم بإتباعه، ويقول: سيأتي لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبـي كريم، وينشد أبياتاً

نَهَـارٌ وَلَيْـلٌ كُلُّ أَوْبٍ بِـحَـادِثٍ سَـوَاءٌ عَلَيْـهَا لَيْلُـهَا وَنَهَـارُهَـا
يَؤُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَـأَوَّبـا وَبَالنِّعَمِ الضَّافِي عَلَيْنَا سُتُورُهَـا
عَلَـى غَفْلَةٍ يَأْتِـي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقـاَ خَبِيرُهَا

وينشد أيضا:

يا ليتـني شـاهدٌ فحواءَ دعوتِهِ حينَ العشيرةُ تبغى الحقَّ خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه ﷺ خمسمائة وعشرون سنة، وقيل: إن كعباً أول من قال: (أما بعد) فكان يقول: أما بعد، فاسمعوا، وافهموا، وتعلموا، واعلموا، ليل داج، ونهار صاح، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون

[٥٢] انظر ترجمته في: [السيرة الحلبية (١/ ٢٥)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٩٠)، دلائل النبوة لإسماعيل لأصبهاني (ص: ١٥٦)، الروض الأنف ت السلامي (٤/ ٥٤)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٢٢)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٧٩)] .

كالآخرين، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم، الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون .

وقيل له كعب لعلوه وإرتفاعه على قومه، لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب، ومن ثم قيل للكعبة كعبة، ولعلوه وإرتفاع شأنه أرّخوا بموته حتى كان عام الفيل، فأرخوا به، ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبدالمطلب .

لـــؤي [٥٣]:

وكنيته أبو كعب، وكان لؤي حليماً حكيماً نطق بالحكمة صغيرا.

قال البلاذري: روي أن لؤياً قال: من رب معروفه لَم يَخلق ولَم يَخمل، فإذا خمل الشيء لَم يذكر، وعلى من أولي معروفاً نشره، وعلى المولى تصغيره وطيه.

قلت: وهو بمعنى قوله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث.

وروي أن لؤي بن غالب قال لأبيه وهو غلام حديث: يا أبت من رب معروفه قل إخلاقه، ونضر ماؤه، ومن أخلقه أخمله، وإذا أخلق الشيء لَم يذكر، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره، وعلى المولى تصغير كبيره وستره، فقال له أبوه غالب: إني لأستدل بِما أسمع من قولك على فضلك، وأستدعي لك به الطول على قومك، فإن ظفرت بطول فعد على قومك بفضلك، وكف غرب جهلهم بِحلمك، ولُمَّ شعثهم برفقك، فإنما

[٥٣] انظر ترجمته في: [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٨٠)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٤١)].

تفضل الرجالُ الرجالَ بأفعالها، ومن قايسها على أوزانها أسقط الفضل، ولَم تعلُ به درجةٌ على أحد، وللعليا فضل أبداً على السفلى .

غـــالب:

منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب، يقال: غلبته غلبا بفتحات فأنا غالب، وكنيته أبو تميم، وله ولدان لا غير: لؤي وتيم المكنى به، وهو المعروف بتيم الأدرم لأن أحد لحييه كان أنقص من الآخر.

فِـهْـــر [٥٤] :

سماه أبوه فهراً، وقيل: هو لقب واسمه قريش، والمناسب أن يكون لقباً لقولهم: إنما سمي قريشا؛ لأنه كان يقرش أي يفتش على خلة حاجة المحتاج، وكان عظيم القدر عند العرب، وفهر (بكسر الفاء وسكون الهاء) منقول من الفهر، وهو من الحجارة الطويل .

والفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث، وكنيته أبو غالب. وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض الجرهمي، وكان رئيس أهل مكة وكان له من الولد: غالب، وأسد، وعوف، وجون، وريص والحارث، ومحارب، وهما من قريش الظواهر، وقيس.

[٥٤] انظر ترجمته في: [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٨٠)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٤١)].

ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب: يا بني إن في الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب، فإذا وقعت المصيبة برد حرها، وإنما القلق في غليانها، فإذا أنا مت فبرد حر مصيبتك بما ترىٰ من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك، وبما ترىٰ من آثارها في محيي الحياة، ثم اقتصر علىٰ قليلك وإن قلت منفعته، فقليل ما في يدك أغنىٰ لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك .

مـــالك [٥٥] :

اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك، وجمعه ملاك وملك، ويكنىٰ أبا الحارث وأمه عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولَم يكن له من الولد غير فهر. ومن حكمه: رب صورة تُخالف المخبرة، قد غرت بِجمالها، واختبر قبيح أفعالها فاحذر الصور، واطلب الخبر.

النَّـضِـــر:

واسمه قيس، ولقب النضر لنضارة وجهه وجماله، منقول من النضر اسم للذهب الأحمر، ويكنىٰ أبا يَخلد، وله من الذكور: مالك ويَخلد، وبه كان يكنىٰ، والصلت وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

[٥٥] انظر ترجمته في: [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٨٤)، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٢٧)] .

كِـنانـة:

منقول من الكنانة التي هي الجَعبة، وسمي بذلك لأنه كان سترا على قومه كالكنانة الساترة للسهام، ويكنى أبا النضر، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

قال عامر العدواني لابنه في وصيته: يا بني أدركت كنانة بن خزيمة وكان شيخاً مسناً عظيم القدر، وكانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله، فقال: إنه قد آن خروج نبي من مكة يدعي أحمد، يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم.

قال أبو الربيع رحمه الله تعالى: إن كنانة رأى وهو نائم في الحجر فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل والهدر وعمارة الجدر وعز الدهر، فقال: كل يا رب، فصار هذا كله في قريش. وله من الذكور: مِلْـكان، والنضر، وهو المكنى به وعمرو وعامر.

خُزيمـــة:

منقول من مصغره خَـزِمة واحد الخزم، وهو شجر مثل الدوم، غير أنه أقصر وأعرض وأعبل، وله أقناء وبسر يسود إذا أينع، لأنه صغير معرفص، يتخذ من سعفه الحبال، ويصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه، ويكنى أبا أسد، وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة.

وله من الذكور أربعة: كنانة وأسد المكنى، وأسدة وهو رجل. وعبد الله، والهون بضم الهاء.

قال البلاذري: وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابِخة، وكانت له على الناس مكارم أخلاق وأفضال بعدد الزمان حتى قيل فيه:

أما خزيمة فالمكارم جَمة سبقتَ إليه وليس ثم عتيد

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مات خُزيمة على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

مُـدركـــة [٥٦] :

منقول من اسم فاعل من الإدراك، واسمه عمرو، وكنيته أبو هذيل ويقال له أبو خزيمة. والسبب في تلقيبه بذلك أن أباه إلياس خرج هو وبنوه مدركة وعمرو وعامر وعمير، وأمهم ليلى بنت حلوان بن الحاف في نجعة فنفرت إبلهم من أرنب، فصاح ببنيه هؤلاء أن يطلبوا الإبل والأرنب، فأما عمير فاطلع من المُظلة ثم قمع أي بقي فيها لَم يَخرج، فسمى قمعة، وخرج عامر وعمرو في آثار الإبل، وخرجت أمهم ليلى تسعى خلفهم، فقال لها زوجها إلياس: أين تُخندفين؟ أي أين تسعين؟ فسميت خندف .

ومر عامر وعمرو بظبي فرماه عمرو فقتله، فقال له عامر اطبخ صيدك وأنا أكفيك الإبل، فطبخ عمرو فسمى طابِخة، وأدرك الإبل عامر فسمى مدركة.

(٥٦) انظر ترجمته في: [سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٧٥)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٤٨)].

إلـيـــاس [٥٧] :

قال ابن الزبير: ولما أدرك الياس أنكر على بني اسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم، وبان فضله عليهم وجمعهم رأيه ورضوا به، فردهم إلى سنن آبائهم، ولَمْ تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة، كتعظيمها لقمان وأشباهه.

قال ابن دحية رحمه الله تعالى: وهو وصي أبيه، وكان ذا جمال بارع.

قال السيهلي: ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج، وهو أول من أهدى إلى البيت البدن، وأوّل من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم .

مُضـــر [٥٨] :

لقب بذلك لأنه كان يضير قلب من رآه لحسنه وجماله، وقال القتبي: مشتق من المضيرة، أو من اللبن الماضر، والمضيرة شئ يصنع من اللبن، فسمي مضرا لبياضه، واسمه عمرو، وكنيته أبو الياس، وأمه سودة بنت عك بن عدنان، وكان يقال له مضر الحمراء قيل: لأن العرب تسمى الأبيض أحمر .

[٥٧] انظر ترجمته في: [الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ١٥)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٨٩)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ١٤٩)] .

[٥٨] انظر ترجمته في: [أعلام النبوة للماوردي (ص: ١٨٦)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ١٢)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٨٩)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ١٤٨).

ذكر ابن جرير والماوردي والزبير والبلاذري عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أن نزار أباه لما حضرته الوفاة أوصىٰ بنيه وهم: مضر وربيعة وإياد وأنمار فقال: هذه القبة وماأشبهها من المال لمضر. وهذ االخباء الأسود وماأشبهه لربيعة.وهذه الخادم وكانت شمطاء وماأشبهها لإياد. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه .

وقال لهم: إذا أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعىٰ الجرهمي، وكان بنجران .

فلما مات نزار اختلفوا وأشكل عليهم أمر القسمة، فتوجهوا إلىٰ الأفعىٰ، فبينما هم في مسيرهم إليه، إذ رأىٰ مضر كلأ قد رُعي فقال: إن البعير الذي رعىٰ هذا لأعور، فقال ربيعة: وهو أزور، وقال إياد: وهو أبتر، وقال أنمار وهو شرود، فلم يسيروا إلا قليلا حتىٰ لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير فقال مضر: أهو أعور ؟ قال: نعم، قال ربيعة: أهو أزور ؟ قال: نعم، قال إياد: أهو أبتر ؟ قال: نعم، قال أنمار: أهو شرود ؟ قال: نعم، هذه والله صفة بعيري دلوني عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أفارقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا وسار معهم حتىٰ قدموا نجران، فنزلوا بالأفعىٰ الجرهمي، فحاكمهم صاحب الجمل إلىٰ الأفعىٰ وقال: بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لَم نره، فقال لهم الأفعىٰ: كيف وصفتموه ولَم تروه ؟ فقال له مضر: رأيته يرعىٰ جانباً ويترك جانباً، فعرفت أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدىٰ يديه ثابتة والأخرىٰ فاسدة الأثر، فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه وطلبه لازوراره، وقال إياد: عرفت بتره باجتماع بعره، ولو كان ذيالا لمصع به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود بأنه كان يرعىٰ في المكان الملتف نبته، ثم يَجوزه إلىٰ

مكان أرق منه وأخبث، وحلفوا أنهم ما رأوه، فقال الأفعىٰ: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه. ثم سألهم من أنتم؟ فأخبروه فرحب وقال: تحتاجون إلي وأنتم في جزالتكم وصحة عقولكم وآرائكم علىٰ ما أرىٰ ؟ !.

ثم خرج عنهم وأرسل إليهم بطعام فأكلوا، وبشراب فشربوا، فقال مضر: لَمَ أر خمراً أجود منها لولا أنها نبتت علىٰ قبر . وقال ربيعة: لَمَ أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة، وقال إياد: لَمَ أر كاليوم رجلاً أسرىٰ لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعىٰ له، وقال أنمار: لَمَ أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا .

وسمع الأفعىٰ كلامهم فقال: ما هؤلاء الشياطين، ثم أتىٰ أمه فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك، فأمكنت رجلاً نزل بنا فجئت أنت منه . وقال للقهرماني: الخمر الذي شربنا ما أمرها ؟ قال: من حبلة غرستها علىٰ قبر أبيك . وسأل الراعي عن اللحم فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة، ولَمَ يكن في الغنم غيرها .

فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر؟ فقال: لأني أصابني عطش شديد .

وقيل لربيعة: من أين علمت اللحم؟ قال: لأن لحم الكلب يعلو شحمه، بِخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها .

وقيل لإياد: من أين علمت أن نسبي لغير أبي؟ قال: لأنه وُضع الطعام ولَمَ تجلس معنا فيكون أصلك دنيئا .

فقال: قصوا علي قصتكم، فقصوا عليه ما أوصى به أبوهم، وما كان من الاختلاف بينهم . ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر. فصارت إليه الدنانير والإبل، فسمى مضر الحمراء.

قال: وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة، فصارت إليه الخيل وهي دهم، فسمى ربيعة الفرس .

قال: وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإياد، فصارت الماشية البلق له فقيل إياد الشمطاء .

وقضي لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده وهم على ذلك .

قال محمد بن السائب فيما رواه البلاذري عنه: ومضر أول من حدا للإبل، وكان سبب ذلك أنه سقط من بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال: يايداه يا يداه، فأتت إليه الإبل من المرعى فلما صح وركب حدا، وكان من أحسن الناس صوتا.

قال السهيلي وفي الحديث: « لا تسبوا ربيعة ومضر فإنهما كانا مؤمنَيْن» .

وروى ابن حبيب بسند جيد عن سعيد بن المسيب مرسلا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم» . ورواه الزبير والبلاذري بسند جيد عن الحسن مرسلا مثله ورواه البلاذري عن عبيد الله بن خالد مرسلا نحوه.

وروى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مات أدد والد عدنان، وعدنان، ومعد، وربيعة، ومضر، وقيس عيلان وتيم وأسد وضبة وخزيمة على الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام .

ومما يؤثر من حكم مضر:

❁ من يزرع شرا يحصد ندامة .

❁ وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها، فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق .

الفواق: قال في الصحاح ما بين الحلبتين من الوقت، لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب . وله من الولد: إلياس .

نـــزار :

قال أبو الفرج الأموي: مأخوذ من التنزر لأنه كان فريد عصره.

وقال السهيلي: من النزر وهو القليل، لأن أباه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذي كان ينقل في الأصلاب، فرح به فرحاً شديداً ونَحر وأطعم شيئاً كثيراً وقال: هذا نزر قليل في حق هذا المولود، فسمي نزارا لذلك، وكنيته أبو إياد، وقيل أبو ربيعة، وأمه «مُعانة» بنت جَوشَم .

معـــدّ :

منقول منه أقوال:

أحدها: أن يكون مفعلا بفتح العين من قولك عددت الشئ أعده .

الثاني: أن يكون فَعلاً من قول العرب معَدَ الرجل في الأرض إذا ذهب .

الثالث: من المُعْد بسكون العين وهي القوة، ومنه اشتقاق المعدة، وذكر الزجاجي نحوه فقال: ويجوز أن يكون من قول العرب: قد تمعدد الرجل إذا قوي واشتد.

وقال أبو الفتح بن جني في شرح تصريف أبي عثمان المازني: ويقال تمعدد الغلام إذا صلب واشتد .

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: «اخشوشنوا وتمعددوا»، أي كونوا على خلق معد، وكنيته أبو قضاعة. ولما كان زمان بُخت نصر كان لمعد بن عدنان ثنتا عشرة سنة .

أوحى الله تعالى في ذلك الزمان إلى «أرميا بن حلقيا» أن اذهب إلى بُخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب، واحمل معداً على البراق كيلا تصيبه النقمة منهم، فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل . فاحتمل معداً على البراق إلى أرض الشام، فنشأ في بني إسرائيل وتزوج هناك امرأة يقال لها معانة بنت جوشن [٥٩]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: >لَمَّا بَلَغَ وَلَدُ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، وَقَفُوا عَلَى عَسْكَرِ مُوسَى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْتَهَبُوهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ وَلَدُ مَعْدٍ قَدْ أَغَارُوا عَلَى عَسْكَرِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، يَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، لَا تَدْعُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ مِنْهُمِ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ النَّذِيرَ الْبَشِيرَ بِجَنَّتِي، وَمِنْهُمِ الْأُمَّةَ الْمَرْحُومَةَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ مِنَ الله بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ، وَيَرْضَى اللهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ، فَيُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لِأَنَّ نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمُتَوَاضِعَ فِي هَيْئَتِهِ، الْمُجْتَمِعَ لَهُ اللُّبُّ فِي سُكُوتِهِ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، وَيَسْتَعْمِلُ الْحِلْمَ،

[٥٩] تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٥٤٧) .

أَخْرَجْتُهُ مِنْ خَيْرِ جِيلٍ مِنْ أُمَّتِهِ قُرَيْشًا، ثُمَّ أَخْرَجْتُهُ مِنْ هَاشِمٍ صَفْوَةِ قُرَيْشٍ، فَهُمْ خَيْرٌ مِنْ خَيْرٍ إِلَى خَيْرٍ يَصِيرُ، وَأُمَّتُهُ إِلَى خَيْرٍ يَصِيرُونَ< [٦٠]

عـدنـــان [٦١]:

مأخوذ من عدَنَ بالمكان إذا أقام به، وكنيته أبو معدّ .

قال البلاذري: ويقال إن أول من كسا الكعبة عدنان، كساها أنطاع الأدم، وله من الولد معدّ، والديث، وأبي وألعي، وعُدَي، والحارث، والمذهب، ولذلك يقال في المثل: أجمل من المذهب .

وهنا ينتهي النسب الشريف، المتفق على صحته عند جمهور العلماء .

خلاصة رجال السلسلة:

وإذا خبرت حال نسبه ﷺ وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام، سادوا ورأسوا، ليس في آبائه خامل مسترذل، ولا مغموز مستذل، كلهم سادة قادة، وهم صفوة الله من خلقه في كل وقت، لَم ينقل عن واحد منهم أنه غيَّر ملة ابراهيم، أو شذَّ عن الفطرة التي هي الحنيفية، بل تمتعوا بمكارم الأخلاق، تصديقاً لقول الله تعالى لإبراهيم: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، والغلام هو إسماعيل، الذي

(٦٠) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٤٠، رقم:٧٦٢٩) .

(٦١) انظر ترجمته في: [الروض الأنف ت السلامي (١/ ٥٠)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٩٥)، سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٨)] .

انحدرت منه هذه السلسلة الطاهرة العفيفة، والحلم خلق، فكانت الأخلاق فيهم دون غيرهم، وإن شاركهم فيها أحد فلا يدانيهم رفعة، فكان فيهم البأس والشدة، والشجاعة والعزيمة، والشهامة والمروءة، والكرم والسخاء، وكأن مكارم أخلاقهم تنزههم عما تلبس به الجاهلية من الزنا، ونكاح المحارم، فكانوا أخص الناس بالمناكح الطاهرة، حتىٰ تَخرجوا من نكاح المحارم، وإن استباحه غيرهم من العرب .

حتىٰ حكي أن حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته، وأولدها، وقد كان سماها «دختنوس» باسم بنت كسرىٰ، وقال فيها حين نكحها مرتَجزا :

يا ليت شعري عنك دختنوس
إذا أتـاهـا الخبر الـمرمـــوس
أتسحب الذيلـين أم تَـمـــيس
لا بل تَميـــس إنهـــا عـــروس

وهذا في قريش من الفواحش، فتنزهت قريش من هذه المناكح حفظاً لحرمة الأرحام الدانية أن تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية و تقل الغيرة .

فآباؤه ﷺ كلهم سادات، ما منهم أحد إلا وهو سيد قومه في عصره، من أبيه عبد الله إلىٰ آدم عليه السلام كما قيل [٦٢]:

[٦٢] أعلام النبوة للماوردي (ص: ٢٠٣) .

فأولئك السادات لَم تر مثلهـم عين علـى متتـابـع الأحقاب
زهــرُ الوجوه كريمـة أحسابهـم يعطـون سائلهم بغـير حسـاب
لَـم يعرفـوا رد العفـاة وطالـما ردوا أعاديهم علـى الأعقــاب
حلمـوا إلى أن لا تكـاد تراهـم يـوما على ذي هفـوة بغـضـاب
وتكرموا حتى أبــوا أن يَجعلوا بين العفـاة وبينهـم من بـاب
كانت تعيش الطـير في أكنافهم والوحش حين يشح كل سحاب
وكفـاهــمُ أن النبـي مُحمــدا منهمْ فمدحهـمُ بكـل كــتاب

الكــلام على آزر:

آزر هو عم أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لم يكن مؤمنا، بل كان عابد صنم، وكان معادياً لأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكونه مسلما، مخالفاً لعقيدته، قال تعالى بحقه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]

قال الرازي بعد أن أورد أربعة وجوه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]: لَفْظُ الآيَةِ مُحْتَمِلٌ لِلْكُلِّ، فَلَيْسَ حَمْلُ الآيَةِ عَلَى الْبَعْضِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهَا عَلَى الْبَاقِي. فَوَجَبَ أَنْ نَحْمِلَهَا عَلَى الْكُلِّ، وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ.

وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضاً عَلَى أَنَّ أَحَداً مِنْ آبَاءِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: «لَمْ أَزَلْ أُنقَلُ مِنْ أَصْلابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ أَحَداً مِنْ أَجْدَادِهِ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: ثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَا كَانَ مُشْرِكًا، وَثَبَتَ أَنَّ آزَرَ كَانَ مُشْرِكًا، فَوَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ إِنْسَانا آخَرَ غَيْرَ آزَرَ.

والد إبينا ابراهيم:

قالوا: لو كان كلامكم صحيحا لما كان والد ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار بنص القرآن، وبالتالي فإن والدي رسول الله ﷺ وعمه وجده في النار .

الجواب : إن المذكور في القرآن هو آزر، وآزر عم إبراهيم وليس والده، فهو: إبراهيم بن تارخ بن أرفخشد، وإنما نصت الآية بأنه والده لأنه رباه، وكان في كفالته، فإن والد ابراهيم توفي وهو صغير فكفله عمه آزر، وأدلة ذلك:

الأول: شاع عند العرب أنها تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً، فقد جاء في كتب السير في قصة بحيرا الراهب:

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فقال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي قال : فما فعل أبوه ؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال : صدقت .

وما جاء أيضا من حادثة مساومة قريش أبا طالب أن يسلمهم النبي ﷺ ليقتلوه:

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد (أي أشدّ) فتى في قريش وأجمله فخذه، فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الّذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل

برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدا . فسمى ابن أخيه ابنه .

الثاني: جاء في التنزيل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، فأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب، كما أطلق على إبراهيم وهو جده .

الثالث: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول: الجد أب ويتلو: هذه الآية، وأخرج عن أبي العالية في هذه الآية قال: سمي العم أباً .

الرابع: وأخرج أيضاً عن محمد بن كعب القرظي قال: الخال والد، والعم والد وتلا هذه الآية .

الخامس: بقي ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، فلما مات تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وترك الإستغفار له، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] ثم هاجر إبراهيم عقب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] ، ثم سافر الى مصر، واستقر في حبرون، ثم ذهب لمكة، وبنى البيت، وقص القرآن علينا نبأه، في سورة ابراهيم، ثم قال في آخر حياته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾ ، ثم استغفر لوالديه وذلك بعد هلاك

عمه بمدة طويلة فقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ، فيستنبط من هذا: أن الذي ذكر في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له هو عمه آزر، لا أبوه الحقيقي، وأن الإستغفار كان لوالديه الذين انحدر من صلبهما، لأن إبراهيم لم يعد يستغفر لآزر بعد أن تبين له أنه عدو لله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] .

وخلاصة الأمر:

❁ إن الله تعالى جعل نبيه محمداً ﷺ درة يتيمة في سلسلة النسب الذهبية الشريفة، فما أتى من قبله من حلقات، وهم سلسلة الآباء الشريفة، كانوا حملة نوره، وقد صانهم الله تعالى من كل ما قد يشينهم، حتى أهَّلهم لحمل هذا النور، فسماهم: «السَّاجِدين» .

❁وما جاء من حلقات سلسلة الذهب الشريفة، ممن انحدر من صلبه، سماهم الله تعالى: «أهل البيت»، وطهرهم من رجس الكفر، ودنس المعاصي، كما طهر الآباء.

❁ وحرم الله تعالى جميع حلقات هذه السلسلة، الآباء «السَّاجِدين» بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، كما حرم الأبناء «أهل البيت، على النار بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

❁ إن الله تعالى وصف نبيه الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ومن المستبعد أن يرحم الله تعالى به العالمين، ثم يذر أحداً من آبائه أو أبنائه لا تشمله هذه الرحمة، فيعذبه .

❁ إن الله تعالى وعد نبيه بأن سيعطيه عطاء لا حصر له، حتى يرضيه، ونحن نقول: حاشى نبينا أن يرضى، وواحد من آبائه أو أبنائه معذب في النار .

الرَّوضَةُ الثالثة

تكحيل العين بأدلة نجاة الوالدين

التكليف الشرعي

الأدلة من الكتاب العزيز

الأدلة من السنة المطهرة

أدلة الإجماع

الرَّوضَةُ الثالثة

تكحيل العين بأدلة نجاة الوالدين

إن من عدل الله تعالى وحكمته؛ أن لا يعذب أحداً من خلقه حتى يقيم الحجة عليه، وذلك بإبلاغه الأمر والنهي، ويمده تعالى بالحواس التي تمكنه من بلوغ الدعوة إليه من السمع والكلام، فمن طريق السمع يصل إليه مسائل التكليف الشرعي، ومن طريق اللسان يتلفظ بما يجب التلفظ به من كلمة التوحيد، ثم يعطيه العقل ليفكر في ما بُلغ به، فتكون الدعوة قد بلغته، وله من الحواس ما يقوم بهذه المسائل التكليفية من خلالها، والعقل الذي يستطيع من خلاله دراسة هذه المسائل وتحليلها، ثم استعمال هذه الجوهرة فيما ينبغي أن تكون، فإن فقد العبد واحدة من هذه الوسائل؛ كأن فقد عقله الذي هو مناط التكليف، أو فقد حاسة تمنعه من معرفة المسائل التكليفية، أو لم تصله دعوة نبي، أو لم يبلغ السن الذي يستطيع تمييز الأشياء من خلاله، فقد اتخذ عند الله عهداً أن لا يعذبه، وقد أفصح القرآن عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ {الإسراء:١٥} . لذلك حكم أغلب العلماء على أن أهل الفترة ناجون يوم القيامة، لعدم بلوغهم دعوة الأنبياء، فقد عاشوا في جاهلية جهلاء، لَمْ يبعث الله لهم رسولاً بعد سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وقد قرر علماء السير والتأريخ أن الفترة الزمنية من إسماعيل إلى مجيء الإسلام (٣٠٠٠) سنة، وهي فترة كافية لاندراس شريعة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

والدليل على ذلك أن نفراً من قريش كانوا على ملة ابراهيم، منهم قس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، لكنهم كانوا يفتقرون لشرع يتعبدون فيه، فقد جاء عن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي أنه كان على ملة إبراهيم، وقد حرم عبادة

الأصنام، والذبح لها، لكنه لَم يجد شرعاً يعبد الله تعالىٰ من خلاله، كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك من الشعائر الدينية .

روىٰ الحميري عن زيد بن عمرو أنه كان يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكن لا أعلمه ثم يسجد علىٰ راحلته [٦٣] .

لذلك كانت دعوة الرسل شرطاً ضرورياً لإقامة الحجة علىٰ الناس بعبادة الله تعالىٰ، وبالتالي من لَم تبلغه الدعوة غير مكلف شرعا، وغير مؤاخذ، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا﴾ {الإسراء:١٥} ، وقوله تعالىٰ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ {النساء:١٦٥} ، ووالدا رسول الله ﷺ عاشا ضمن هذه الفترة التي خلت من الرسل، فينطبق عليهما حكم هذه الآية الشريفة، فهما ناجيان إن شاء الله تعالىٰ .

التكليف الشَّرعي

أجمعت الأمة علىٰ مر عصورها أنه لا مؤاخذة إلا بذنب، ولا ذنب إلا بعد تكليف، ولا تكليف إلا بشروط، سنأتي علىٰ ذكرها تاليا، فإذا فقدت هذه الشروط أو أحدها فقد اتخذ العبد عند الله عهداً أن لا يعذبه، وشروط التكليف:

(٦٣) [الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (١/ ١٤٦)

(أولاً) العقل :

وهو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل [٦٤] والفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن، يقال: فهمت كذا أي تحققت معناه، وقوله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ {الأنبياء:٧٩}، وذلك إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن ألقىٰ ذلك في رُوعه، أو بأن أوحىٰ إليه وخصه به، وأفهمته إذا قلت له حتىٰ تصوره [٦٥].

والعقل هو مناط التكليف، والعاقل هو الذي يعي خطاب الشرع، وخرج بالعاقل: المجنون، فليس بمكلف، لكن محل ذلك إن بلغ مجنوناً، واستمر علىٰ ذلك حتىٰ مات، بِخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثم جُن وكان غير مؤمن، ومات كذلك، فهو غير ناج . فتقرر بهذا عدم تكليف المجنون، وذلك لانعدام شرط التكليف فيه، ودليل ذلك قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن الطفل حتىٰ يحتلم، وعن المجنون حتىٰ يبرأ، أو يعقل» [٦٦].

(٦٤) [المفردات القرآنية (ص:٣٥٤)].

(٦٥) [المفردات القرآنية (ص:٤٠٠)].

(٦٦) أخرجه أحمد في [المسند (ص:١١٥) برقم (١١٨٣)، الترمذي (ص:٢٥٠) برقم (١٤٢٣)، كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، النسائي، (ص:٣٦٢) برقم (٣٤٣٢)، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، ابن ماجه (ص:٢٢١) برقم (٢٠٤١)، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، أبو داود، (ص:٤٨١) برقم (٤٤٠٢)، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً].

(ثانياً) البلوغ :

وللبلوغ علامات، هي: نبات العانة، ونتن الإبط، والإنزال، وفرق الأرنبة، وغلظ الحنجرة، والحيض، وبلوغ خمس عشرة سنة عند الشافعية، وهو المفتى به عند الأحناف [٦٧] ، وثماني عشرة سنة عند مالك، فمن مات قبل سن البلوغ من الأطفال فهو ناج، ولو كان من أطفال المشركين، لعدم استيفاء شروط التكليف .

فغير البالغ من الأطفال ليس مكلفاً، لأنه لا يستطيع فهم خطاب الشارع على وجه الكمال، وذلك لقصور عقله عن الفهم الكامل، ودليل هذا الشرط، هو دليل الشرط السابق .

وثم دليل آخر استنبطته من الكتاب العزيز وهو قوله تعالى مخاطباً عموم المؤمنين: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، هو تكليف بالاستئذان، أي استئذان بدخول البيوت، واستثناء الأطفال من هذا الحكم دليل عدم تكليفهم، لأن الاستئذان واجب شرعي، يؤيده ما سبقه من نص قرآني، وهو عدم وضع الخمار للمرأة أمام النساء، وكذلك الأطفال، بخلاف الرجال، أما النساء فهو لمثلية الجنس، وأما الأطفال فلعدم تكليفهم، قال تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١] .

[٦٧] انظر: [حاشية ابن عابدين (٩٦٩٧/٥)] .

(ثالثاً) سلامة الحواس :

لأن الحواس وسيلة لبلوغ الدعوة، فمن طريق السمع تصل إليه مسائل التكليف، ومن خلال اللسان يتلفظ بما هو واجب أن يتلفظ به ككلمة التوحيد، فمن فقد أداة وصول الدعوة من هذه الحواس، كان غير مكلف لدخوله في جملة من لَمْ تبلغه دعوة الرسل .

(رابعاً) بلوغ الدعوة :

فالذي لَمْ تبلغه الدعوة ليس بمكلف، بأن نشأ في بيئة بعيدة عن الناس، كما نراه اليوم من وجود أناس في غابات إفريقيا، والمناطق المتجمدة وما في معناها، فهؤلاء ما سمعنا أنهم سمعوا بالإسلام، لذلك أمثال هؤلاء غير مكلفين لعدم علمهم برسالات الأنبياء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء:١٥} ، لأن حكمة الله تعالى اقتضت أن لا يقيم الحجة على عباده إلا بعد بعثة الرسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ {النساء:١٦٥} .

أهـلُ الـفــترة

المقصود من أهل الفترة هم من عاش قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ من أهل الجزيرة، لم يبلغهم شرع نبي بعد سيدنا إسماعيل عليه السلام، فقد عاش الناس زمانا على ملة إبراهيم، من التوحيد، وتعظيم بيت الله، وغير ذلك، ثم مضت مدة طويلة على الناس لم يأتهم نبي، ثم حدثت عبادة الأصنام في جزيرة العرب، وتلاها تغيير لملة إبراهيم،

حتى صار الناس مع تطاول الوقت، وتباعد الزمن، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، فعاش الناس قرونا انطفأ فيه نور التوحيد، وانتشرت فيه المحرمات، وقتل الناس بعضهم بعضا، فكانوا بحاجة ماسة لشرع ينقذهم من هذا الظلام الدامس . لذلك رحمهم الله تعالى، فلم يؤاخذهم على شركهم، فإنه من عدل الله أن لا يعذب أحدا إلا بعد أن ينذره، ثم يقيم الحجة عليه . فأنزل الله تعالى على رسوله في القرآن المكي: وما كنا معذبين ...

فكل من عاش في فترة انقطاع الشرائع الإلهية على مر الزمان، وتباعد الأوطان فقد أعذره ولم يكلفه، رحمة منه تعالى لكونه العدل . ومن قال بتكليف العرب بشريعة إبراهيم فقوله منقوض بالأدلة التالية:

الأول: إن أبانا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لَمْ يُبعث لعرب الجزيرة، وإنما بُعث لأهل العراق، وكان كل رسول يُبعث لقومه خاصة، فقد روى مسلم في صحيحه (١١٩١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمساً لَمْ يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود...» الحديث، فأهل جزيرة العرب غير مكلفين برسالة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

الثاني: وعلى فرض أن رسالة أبينا إبراهيم كانت شاملة للعرب، فإن مرور ثلاثة آلاف سنة عليها كافية لاندراسها، وتشويهها، وبالتالي لا وجود لرسالة نقية عن التشويه يتعبد بها أهل تلك الفترة .

وبمثل ذلك يقال عن شريعة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، فقد بُعث إلى بني إسرائيل، ولَمْ يبعث إلى العرب، زيادة على سرعة تحريف الإنجيل بعد رفع سيدنا

عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وبتحريف الإنجيل حُرفت شريعته ولم يبق مها إلا الشيء اليسير، وأول ما حرف منها العقيدة.

إذا استقرأنا التاريخ سيخبرنا بعدم وجود أنبياء ورسل في جزيرة العرب، وخاصة الفترة الزمنية التي سبقت بعثة سيدنا محمد ﷺ وقد خصصت هذه الفترة بالذكر لبعدها الزمني عن شريعة سيدنا إسماعيل، وانتشار الأصنام انتشارا واسعا، وكذلك انتشار المحرمات بشكل غير مسبوق . وقد شهد القرآن لهم بهذا، فقد جاءت آيات عديدة تفيد خلو الجزيرة من الرسل قبل سيدنا رسول الله ﷺ منها:

قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩، ٢٠] .

وقوله تعالىٰ مخاطبا سيدنا رسول الله ﷺ : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ:٤٤] .

أفادت هذه الآيات أن جزيرة العرب كانت مفتقرة إلى الرسل، وخاصة تلك الفترة الزمنية التي سبقت بعثة رسول الله ﷺ . فإذا تقررت هذه المسألة تجاوزناها إلى ما بعدها وهو: هل يؤاخذ الله من لم تبلغه دعوة رسول؟ أم أنه سيعذبه، سواء أأرسل إليه رسلا أم لا؟

الجواب: إن من عدل الله تعالىٰ، ورحمته بعباده أن لا يؤاخذ عباده إلا بعد الإعذار، فيرسل إليهم رسولا أو أكثر، فيبلغهم شريعة ربهم، ثم يؤيده الله بالبراهين الساطعة

الدالة على صدق نبوته، حتى يتيقن الناس من صدقه، فمن آمن وصدق فقد اتخذ عند الله عهداً أن لا يعذبه، حيث أطاعه ربه فيما أمر به، وكلفه من عبادات.

وأما من كذب فهو المؤاخذ، الذي عصى الله فيما أمر، وخالفه إلى ما نهى، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا﴾ .

لذلك أجمعت الأمة على أن أهل الفترة غير مؤاخذين بشركهم، لهذه الاعتبارات، ومن هؤلاء: عبد المطلب جد النبي ﷺ ووالداه عبد الله وآمنة، فقد هلكا في الجاهلية، ولم تبلغهم دعو رسول الله ﷺ سواء قلنا بشركهم، أو قلنا بأنهم موحدون، هذا لا يهم بعد أن أخبرنا الله تعالى عن حال أهل هذه الفترة .

الوالدان الكريمان

بعد أن بيَّنَّا حال أهل الفترة، وأنهم ناجون من العذاب بفضل الله تعالى، سنأتي على الأدلة الكاملة التي اعتمدناها في نجاة والدي سيدنا رسول الله ﷺ وأن ما ورد من أحاديث تشير إلى عذابهما هي أخبار آحاد، ظنية الدلالة والثبوت، لا تقوى مع الأدلة القطعية الدلالة والثبوت، وتبقى خاضعة للتمحيص، إما أن تكون منسوخة، أو شاذة، أو طرقها التأويل، أو تكون بعض ألفاظها من تصرف الرواة، وهذا العلم خاص بأهل الحديث، سنأتي عليه في حينه .

أدلة الكتاب العزيز

(الدليل الأول) قوله تعالى: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾** {الإسراء:١٥}

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى نفى حصول العذاب إلا بعد إرسال الرسل الذين هم حجة الله على عباده، ومن المعلوم يقيناً أن والديه ﷺ لَم يرسل إليهما رسول يدعوهم إلى الله ويطالبهم بتكليف منه سبحانه، بدليل النص المحكم: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ {سبأ:٤٤} و ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ {السجدة:٣} ، ومن المعلوم يقيناً أن والديه ﷺ عاشوا في فترة انقطاع الرسل .

وعليه؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، دليل صريح واضح على نجاة والديه ﷺ ذلك أن الزمان الذي عاش فيه والده ﷺ كان خالياً من الرسل الذين فتر إرسالهم في ذلك الزمان، كما نصت على ذلك آيات الكتاب العزيز، وبما أن الأمر كذلك فإن تعذيب من عاش في ذلك الزمان منفي ، وقد أطبق العلماء على الاستدلال بهذه الآية على نجاة والديه ﷺ .

قال الإمام السيوطي: "وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة، وردُّوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكم العقل" .

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في هذه الآية، قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو تأتيه من الله بيّنة [٦٨] .

وإلى ما ذهب إليه الإمام السيوطي في تفسير الآية ذهب أهل العلم بالتفسير.

(٦٨) الحاوي للفتاوي (٢٠٣/٢)، تفسير الطبري (٧٠/١٥) برقم (١٦٧٢٠، ١٦٧٢١)]، والأثر لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم . قال قتادة: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر، أو يأتيه من الله بيّنة، وليس معذباً أحداً إلا بذنبه" [٦٩].

وذكر ابن كثير أن الآية إخبار عن عدله، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ {الملك:٩} ، وكذا قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ {الزُّمر:٧١} ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه [٧٠] .

قال الصاوي: وعموم هذه الآية، يدل على أن أهل الفترة جميعاً ناجون بفضل الله، ولو غيّروا وبدّلوا، وما ورد من تخصيص بعض أفراد، كحاتم الطائي وامرئ القيس بدخولهم النار، فهي أحاديث أحاد لا تعارض القطعي [٧١] .

قال ابن عاشور: دلّت الآية على أن الله لا يؤاخذ الناس إلا بعد أن يرشدهم رحمة منه لهم، وهي دليل على انتفاء مؤاخذة أحد ما لَم تبلغه دعوة رسول من الله إلى قوم، فهي حجة للأشعري ناهضة على الماتريدي والمعتزلة الذين اتفقوا على إيصال العقل إلى معرفة وجود الله، وهو ما صرح به صدر الشريعة في التوضيح في المقدمات الأربع،

[٦٩] [تفسير الطبري (٧٠/١٥)].

[٧٠] [تفسير ابن كثير (ص:١٠٠٦)].

[٧١] [حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٣١٣/٣)] .

فوجود الله وتوحيده عندهم واجبان بالعقل، فلا عذر لمن أشرك بالله وعطل، ولا عذر له بعد بعثة رسول [٧٢].

وعليه؛ فالعذاب لا يكون إلا بعد الإعذار والإنذار من خلال بعثة الرسول، وهو القول الذي ذهب إليه جمهور المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية، والعذاب المنفي عنهم هو العذاب في الدنيا والآخرة، لأن سنة الله تعالى جرت على أن من كفر به بعد البلاغ يهلكه في الدنيا، كما أهلك قوم نوح، هود، وصالح وغيرهم، وله في الآخرة نار جهنم خالدا فيها بكفره، فالهلاك في الدنيا دلالة على العذاب في الآخرة .

(الدليل الثاني) قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرا**﴾ [الإسراء: ١٦، ١٧] .

هاتان الآيتان أعقبتا الآية السابقة، مؤكدة على أن إرادة الله تعالى إذا قضت بهلاك قوم، لم يهلكهم حتى يأمرهم بالطاعة، وينهاهم عن المعصية، بإرسال الرسل المبلغين عنه أوامره، فيبلغوا جميع من أُرسلوا إليهم، بما فيهم المترفين، أصحاب الجاه والسلطان، الذين أنعم الله عليهم بالدنيا، وبسطها أمامهم، وغالب الذين يستكبرون على رسالة الله، ويتمردون على أوامره هم من هذا القسم، فأول ما يعصي هؤلاء، إذ تأبى نفوسهم الانقياد، وأن يكونوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين، ومأمورين بعد أن كانوا آمرين، ويأنفون من مجالسة الفقراء والضعفاء أتباع الرسل، وهذه سنة ماضية في

[٧٢] [التحرير والتنوير (١٤/٤٣)] .

النفوس البشرية، فيحصل هذا، فيفسقوا، ويبتعدوا عن شرع الله، ويسلكوا السبيل المفضي إلى غضب الله تعالى، حتى إذا بلغوا الغاية في طريق الكبرياء والفسق، حلَّ فيهم غضب الله تعالى، فدمرهم، واستأصل شأفتهم .

لكن من لم يرسل الله إليه من يبلغه من الرسل، لم تسر فيه إرادة الله بالعذاب، فعلامة سخط الله على عباده عصيانهم لأوامره بعد التبليغ .

(الدليل الثالث) قوله تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ {النساء١٦٥} .

نصت الآية الكريمة على أن الرسل حجة الله على عباده، لأن النبي هو الذي يبين للناس ما يجب عليهم من واجبات، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم دنيا وأخرى، ولذلك كانت ضرورة وجود الرسل، فلا سبيل إلى معرفة الخير والشر، الحق والباطل على التفصيل إلا من هديهم، ولا يُنال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فإن محابَّ الله تعالى من الأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد ليس إلا أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وعقائدهم، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسول فوقها بكثير.

قال ابن عاشور:

وقوله: لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل تعليل لقوله: مبشرين ومنذرين تعليما للأمة بحكمة من الحكم في بعثته الرسل .

والحجة ما يدل على صدق المدعي وحقية المعتذر، فهي تقتضي عدم المؤاخذة بالذنب أو التقصير، والمراد هنا العذر البين الذي يوجب التنصل من الغضب والعقاب، فإرسال الرسل لقطع عذر البشر إذا سئلوا عن جرائم أعمالهم، واستحقوا غضب الله وعقابه، فعُلم من هذا أن للناس قبل إرسال الرسل حجة إلى الله أن يقولوا: ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ [القصص: ٤٧] .

وأشعرت الآية أن من أعمال الناس ما هو بحيث يُغضب الله ويعاقب عليه، وهي الأفعال التي تدل العقول السليمة على قبحها، لإفضائها إلى الفساد والأضرار البينة، ووجه الإشعار أن الحجة إنما تقابل محاولة عمل ما، فلما بعث الله الرسل لقطع الحجة، علمنا أن الله حين بعث الرسل كان بصدد أن يؤاخذ المبعوث إليهم، فاقتضت رحمته أن يقطع حجتهم ببعثة الرسل وإرشادهم وإنذارهم، ولذلك جعل قطع الحجة علة غائية للتبشير والإنذار: إذ التبشير والإنذار إنما يبينان عواقب الأعمال، ولذلك لم يعلل بعثة الرسل بالتنبيه إلى ما يرضي الله وما يسخطه.

(الدليل الرابع) قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ {طه:١٣٤} .

قال الطبري: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنَزِّلَهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْعَثَ دَاعِيًا يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيهِ بِعَذَابٍ نُنَزِّلُهُ بِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ، لَقَالُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ وَرَدُوا عَلَيْنَا، فَأَرَدْنَا عِقَابَهُمْ: رَبَّنَا هَلَّا

أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدْعُونَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ، فَنَتَّبِعَ حُجَّتَكَ وَأَدِلَّتَكَ وَمَا تُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَذِلَّ بِتَعْذِيبِكَ إِيَّانَا وَنَخْزَىٰ بِهِ [٧٣] .

قال البيهقي: أخبر تعالىٰ أنه بعث الرسل لقطع حجة العباد، وقيل في ذلك وجوه:

أحدها: أن الحجة التي قطعت علىٰ العباد هي أن لا يقولوا: إن الله جل ثناؤه إن كان خلقنا لنعبده، فقد كان ينبغي أن يبين لنا العبادة التي يريدها منا ويرضاها لنا، ما هي؟ وكيف هي؟ فإنه وإن كان في عقولنا الاستجداء له، والشكر علىٰ نعمه التي أنعمها علينا، فلم يكن فيها أن التذلل والعبودية منا بماذا ينبغي أن يكون، وعلىٰ أي وجه ينبغي أن يظهر، فقطعت حجتهم بأن أمروا، ونهوا وشرعت لهم الشرائع، ونهجت لهم المناهج فعرفوا ما يراد منهم، وزالت الشبهة عنهم.

والثاني: أن الحجة التي قطعت هي ألا يقولوا: إنا ركبنا تركيب شهوة، وغفلة، وسلط علينا الهوىٰ، ووضعت فينا الشهوات، فلو أمددنا بمن إذا سهونا نبهنا، وإذا مال بنا الهوىٰ إلىٰ وجه، قُومنا لما كان منا إلا الطاعة، ولكن لما خلينا ونفوسنا، ووكلنا إليها، وكانت أحوالنا ما ذكرنا غلبت الأهواء علينا، ولم نملك قهرها، وكانت المعاصي منا لذلك .

والثالث: أن الحجة التي قطعت هي أن لا يقولوا: قد كان في عقولنا حسن الإيمان، والصدق، والعدل وشكر المنعم وقبح الكذب، والكفر، والظلم، ولكن لم يكن فيها أن من ترك الحسن إلىٰ القبيح عذب بالنار خالدا مخلدا فيها، وأن من ترك القبيح إلىٰ

(٧٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٦/ ٢١٩) .

الحسن أثيب بالجنة خالدا مخلدا فيها، لأنه إذا كان لا تدرك بالعقل أن لله جل جلاله خلقا هو الجنة، أو خلقا هو النار الغائب، فكيف يدرك أن أحدهما معد للعصاة، والآخر لأهل الطاعة، ولو علمنا أنا نعذب على معاص، وذنوب متناهية عذابا متناهيا، أو غير متناه، أو نثاب على الطاعة المتناهية ثوابا غير متناه، لما كان منا إلا الطاعة، فقطع الله تبارك وتعالى هذه الحجج كلها ببعثة الرسل [٧٤] .

قال الألوسي: استدل الأشاعرة بالآية على أن الوجوب (أي التكليف الشرعي) لا يتحقق إلا بالشرع [٧٥] .

(الدليل الخامس) قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ {القصص:٥٩} .

الخطاب موجه لسيدنا محمد ﷺ يقول: إن الله لن يعذب أهل جزيرة العرب، ولا من حولهم من الأمم حتى يرسل رسولا يبعثه في مكة أم القرى، ويفد الناس إلى البيت الحرام للحج والزيارة، فتقوم بإبلاغهم رسالتي التي كلفتك بها .

والمقصود من مكة دون غيرها، لوجود البيت الحرام فيها، وهو مقصود بالزيارة من كافة الآفاق، فيكون وسيلة إعلامية كبيرة تبلغ الناس كافة، ما أمر الله به رسوله من تبليغ رسالته، وإقامة شريعته، فمن قبلها فله ضمان من الله أن لا يعذبه، ومن أباها واستكبر عنها فقد تعرض لسخط الله ونقمته، فالرسول هو الفيصل في العذاب والنعيم، الجنة والنار .

[٧٤] [شعب الإيمان (١/ ٢٨٠)] .

[٧٥] تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٥٩٤) .

هذا إذا كان الوجه الذي قال به المفسرون، بأن المقصود من كلمة: "أمها" هي أم القرىٰ، أما إذا كان المقصود عموم الرسالة لأهل الأرض كافة، فالمقصود من كلمة: "أمها" القرية التي هي عاصمة ذلك الإقليم، لكونها أكثر سكانا، وأكثرها وفودا من الناس، فيكون التبليغ أسهل وأكثر .

لذا دلت الآية أن الناس غير مؤاخذين بما يقومون به من أعمال تخالف شريعة الله حتىٰ يبعث لهم من يرشدهم، ويبلغهم شريعة ربهم، فما هي سنة الله في خلقه، ولا هي عادته في عباده أن يهلك أهل القرىٰ في أي حالة كانت، إلا في حالة ظلمهم أنفسهم بالشرك، ولا يكون الشرك مؤاخذاً به من أحد حتىٰ ينذره أولا، فيرسل من طرفه من يبلغهم، ويبشرهم وينذرهم، لأن الغالب علىٰ الناس هو جهلهم بما لم يروه أو يسمعوا به، والجاهل معذور .

(الدليل السادس) قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩] .

تفيد هذه الآية أن الله تعالىٰ لم يكن من سنته في خلقه أن يهلك أهل قرية بعذاب لم يبعث إليهم رسولاً ينذرهم ويبلغهم رسالة الله تعالىٰ، وأن الله تعالىٰ لا ينزل عذابه بأحد إلا بعد تمرده وعصيانه لأوامره، وتعديه علىٰ حدوده، فيرسل رسله أولاً يبلغون رسالاته لمن أراد من خلقه، فيمشون فيهم بالتبشير بالجنة لمن أطاع، والفئة الأخرىٰ التي عصت ولم تستجب، ينذرونهم العذاب، وربما يؤيدهم الله بمعجزات خارقة للعادة، ليس بمقدور البشر أن يأتوا بمثلها، تصديقاً لدعوىٰ النبي بأنه مرسل من الله، ويجادل أهل الكلام منهم، حتىٰ يقيم الحجة عليهم جميعا، ويذكرهم المرة بعد المرة،

حتى إذا استيأس الرسول من قومه، ولم ير فيهم تقبلاً لدعوته، بل لم يكن منهم إلا تمرداً وعصياناً، يأمره الله بالخروج من بين أظهرهم، ومن اتبعه من المؤمنين، ثم ينزل عذابه فيهم فيستأصلهم، وعذابه فيهم في الدنيا المعجل، علامة على شقاوتهم في الآخرة، وخلودهم في العذاب المؤجل .

الشاهد: لما أعلمنا الله تعالى بسنته في خلقه، أنه لم يكن جاعلاً لأحد من خلقه مجالاً لوصفه بالظلم، بأن يهلكهم وينزل فيهم بأسه من غير إنذار مسبق منه تعالى، علمنا أن من لم يهلكه لم يكن مشمولاً بسخط الله تعالى، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: آمن وصدَّق برسالة الله تعالى، وهؤلاء سماهم الله تعالى: المؤمنون ، فهم في الجنة قطعاً ، وجوباً عرضياً لإخبار الله تعالى بمصيرهم، والله تعالى لا يخلف الميعاد .

القسم الثاني: لم تبلغهم دعوة الله، أو لم يرسل إليهم رسولاً، وهؤلاء هم أهل الفترة، أي أهل الزمن الذي لم يبعث الله فيهم رسولا، فهم معذورون بجهلهم، فلم يسبق منهم سبق إصرار على العصيان والتمرد على شريعة الله، والتطاول على رسله، فهؤلاء شملتهم الرحمة الإلهية، فلم يعذبهم في الدنيا، ولن يعذبهم في الآخرة .

وأهل الفترة التي سبقت بعثة سيدنا رسول الله ﷺ من هذا القسم، فأهلها ناجون بفضل الله ورحمته، رغم تفشي الفاحشة فيهم، فرحمة الله تعالى تسعهم جميعا، ويظهر عليهم تفضله بدخول الجنة بدون سابق عمل، ووالد رسول الله وجده من هؤلاء .

(الدليل السابع) قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٩] .

والساجدون هم حملة نور النبي ﷺ سلسلة آبائه من آدم وهو أولهم، وانتهاء بعبدالله وهو آخرهم .

والشاهد في هذه الآية: أنهم موحدون، لم يك من بينهم مشرك أبدا، لأن المشرك نجس العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] . وقد توسعت الكلام على هذه الآية في الرَّوضَةُ الأولى، وتكرارها هنا غير لازم .

(الدليل الثامن) قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ {الزُّخرف:٢٨}: سياق الكلام عن أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والكلمة هي كلمة التوحيد، والعقب هو النسل، أي إن إبراهيم عليه السلام جاهد الناس بالحجة والبرهان على أن يعتقدوا ألوهية الله تعالى، ونبذ الأنداد عنه، ولاقى في سبيل هذه العقيدة ما قصه الله في القرآن، ثم تكللت جهوده بالنجاح، فجعل عقيدة التوحيد نهجا في أبنائه وأحفاده، وذريته، وذلك تحقيقا لدعائه الذي استجاب الله له: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم:٤٠] .

ومعلوم أن سيدنا رسول الله ﷺ من ذريته، وما تفرق الناس فرقة إلا كان في خيرها، حيث اختار الله له الأفضل من كل شيء، فاختار الله له الآباء الكرام، الذي أهلهم لحمل نوره في أصلابهم، وسماهم "السَّاجِدين" وحماهم من سفاح الجاهلية، وحماهم من عقيدة الشرك، فهم العقب الذي جعل إبراهيم كلمة التوحيد فيهم .

والمتتبع سير آبائه ﷺ يجدهم على ملة إبراهيم، موحدين، أصحاب أخلاق جاء الإسلام بأكثرها . ومن هؤلاء، بل في مقدمتهم أبواه المكرمان .

الشاهد في الآية: إن أبانا إبراهيم عليه السلام أرسى دعائم التوحيد، وأورث هذه العقيدة ولده إسماعيل، ثم انتقلت من ولده إسماعيل إلى بنيه، وبقيت عقيدة التوحيد فيهم قروناً طويلة، حتى أحدث عمرو بن لحي عقيدة الشرك في العرب، لكن كلمة

التوحيد بقيت سائرة في آباء النبي ﷺ دون غيرهم على الأغلب، فكانوا على الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام، وكانوا على أخلاق قرر الإسلام كثيراً منها، ولو أراد الله تعالى تعذيب أهل الجاهلية لم يكن ليعذب عقب إبراهيم لكونهم صبروا على الحنيفية، وهي العقيدة التي ارتضاها الله تعالى، وأوحى إلى سيد الوجود ﷺ أن يتبعها، وبالتالي هم ممن اصطفى الله .

(الدليل التاسع) قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ {إبراهيم:٣٥} . والمقصود من ولده هم نسل إسماعيل عليه السلام، لأن الدعاء كان في مكة، وابنه الذي أسكنه هناك هو إسماعيل، وأمه هاجر. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ {إبراهيم:٣٧}، ولا شك أن الله تعالى استجاب له دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، وجعل مكة بلداً آمناً، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماماً، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وتقبل دعاءه، وأراه مناسكه وتاب عليه.

أخرج البيهقي عن وهب بن منبه: أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش، فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام، وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام: وأجعله أمة واحداً، قانتاً قائماً بأمري، داعياً إلى سبيلي، أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم. أبتليه فيصبر، وأعافيه فيشكر، وآمره فيعقل، وينذر لي فيفي، ويعدني

فينجز، أستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده، وأشفعه فيهم، وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه [٧٦] .

قال السيوطي: لا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي ﷺ خاصة دون سائر ذرية إبراهيم، إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي، ثم عادت إليهم، فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم، فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة، الذين خصوا بالاصطفاء، وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد، فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ {إبراهيم:٤٠} .

وبعد الدراسة العميقة، والاستقراء المستفيض، لَم نجد أحداً من ولد إسماعيل، ممن شرفه الله بحمل نور النبوة في صلبه، أي ممن كان من آباء النبي ﷺ لم نجده عبد صنما قط ، فهي استجابة لدعاء الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آَمِناَ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾، ومن جنَّبه الله تعالى عبادة الأصنام حاشاه أن يعذبه .

(الدليل العاشر) قوله تعالى: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** {الضُّحى:٥}

روى الطبري عن ابن عباس في تفسيره للآية: من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار[٧٧] .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: [رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

[٧٦] [شعب الإيمان (١٤٥٢/٣) رقم: (٣٩٨٥)] .

[٧٧] [جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٤٨٨)].

رَحِيمُ] {إبراهيم:٣٦} وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ {المائدة:١١٨} فرفع يديه وقال: "اللهم أمتي أمتي، وبكى فقال الله عز و جل: يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»[٧٨] ، روى الدينوري عن جعفر بن محمد قال : أرجى آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، فلم يكن يرضى محمد ﷺ من ربه أن يُدخل أحداً من أمته النار [٧٩] .

وروى أبو نعيم عن حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: جعلت فداك، أرأيت هذه الشفاعة الذي تحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: شفاعة ماذا؟ قلت: شفاعة محمد ﷺ قال: إي والله، حدثني عمي ابن محمد بن علي بن الحنفية، عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي عز وجل: أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت»، ثم أقبل عليَّ فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أرجى آية في كتاب الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ {الزُّمر:٥٣} قلت: إنا لنقول ذلك، قال: لكنا أهل البيت نقول: إن

[٧٨] [صحيح مسلم (١/ ١٩١، رقم:٣٤٦)] .

[٧٩] [المجالسة وجواهر العلم (٧/ ١١٩،رقم:٣٠١٠)] .

أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ {الضُّحى:٥} وهي الشفاعة[٨٠].

قلت: وهل يرضى رسول الله ﷺ ووالده يعذبان؟ سيما أنه لم يتقدمهما كفر بالله تعالى، ولم تبلغهم الدعوة، كما أنهم كانوا موحدين على ملة إبراهيم، كل هذا سبب في شفاعة النبي ﷺ لهم ليكونوا معه في درجته في الجنة، لتقر عينه بهما ﷺ ورضي الله تعالى عنهما.

(الدليل الحادي عشر) قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** {الطور: ٢١} .

إن من سعة كرم الله تعالى، وشمول رحمته؛ أن يكرم المؤمن بما تقر به عينه في الجنة، وإكرام الله لعبده على قدر إيمانه، ومنزلته عنده، والذرية لا تشمل الإبناء فقط، بل تشمل الآباء، فآباء الرجل هم كأبنائه في المحبة، فإذا كان المؤمن ذا منزلة رفيعة عند ربه، وكان آباؤه أو أبناؤه دونه في المنزلة، يشفع فيهما حتى يكرمهما الله تعالى ليرتقوا حتى يكونوا معه في درجته في الجنة، تكرمة الله لعبده المؤمن ، يؤيد هذا ما رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ إِلَى مَنْزِلَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ» وَقَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١][٨١] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَكَ وَعَمَلَكَ ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، قَدْ

(٨٠) [حلية الأولياء (٣/ ١٧٩)] .

(٨١) شرح مشكل الآثار (٥/ ٢٩٥)، القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٥٧،رقم:٦٣٦)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٢٧٣، رقم:٢٩٨٤) وقال: حديث صحيح، ووافقه الذهبي .

عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ ، فَيُؤْمَرُ بِإِلْحَاقِهِمْ » ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ [الطور: ٢١] [٨٢] .

قلت: إذا تقرر هذا فلا شك أن والدي المصطفى ﷺ سيكونان معه في درجته في الجنة، لتقر عينه بهما، وتقرَّ عينهما به ﷺ ورضي الله عنهما .

قد يقال في هذا المقام: إن المقصود في الآية الذرية المؤمنة، وليست الذرية المشركة، لذا فالأبوان ليسا مشمولين في هذه الآية .

الجواب: إن المقصود بالإيمان هنا هو التوحيد، وليس العمل الصالح، إذ لو كان العمل الصالح لم يحتج للشفاعة، والأبوان الكريمان مشمولان بالآية لكونهما موحدين على ملة إبراهيم، كما ثبت ذلك بالدليل الصحيح، وثمة دليل آخر هو: دخولهما في عداد أهل الفترة، وأهل الفترة ناجون بالدليل القطعي من القرآن، وهو الدليل الأول الذي سقناه، فإذا حكمنا عليهم بدخول الجنة لهذه الأدلة قلنا بأن الله تعالى سيرفعهما إلى درجة النبي ﷺ في الجنة .

(الدليل الثاني عشر) قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**﴾ [الكهف: ٨٢] .

تتحدث الآية عما فعله العبد الصالح بمعية سيدنا موسى عليه السلام وغلامه، في سورة الكهف، فرغم الجفاء الذي قابلهم فيه أهل القرية، وامتناعهم من ضيافتهم إلا أن العبد الصالح قام ببناء الجدار المتداعي، الذي يعود ملكيته لليتيمين، ولما فرغ من العمل أخبر بعلة إصلاح الجدار، فقال: إنما قمت به من بناء هذا الجدار لكونه لغلامين

[٨٢] المعجم الصغير للطبراني (١/ ٣٨٢، رقم: ٦٤٠) .

يتيمين، منحدرين من سلالة رجل صالح، فلأجل صلاح هذا الرجل أكرمت هذين اليتيمين . قالوا في التفسير: كان جدهما الثامن .

الشاهد: إذا أكرم الله تعالى هذين اليتيمين لصلاح جدهما الثامن، فأمر نبيه المرسل موسى، وغلامه يوشع بن نون، والعبد الصالح، ببناء الجدار الذي يحتوي على الكنز، ويبقى الجدار قائما على الكنز لا يراه ولا يعلم به أحد، حتى يشب الغلامان ويقومان باستخراج كنزهما، ألا يكرم الله الوالدين الكريمين بصلاح ولدهما؟ سيما وهو سيد ولد آدم؟ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، قَالَ: «حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهُمَا صَلَاحًا» (٨٣) .

أليس إكرام الوالدين من باب أولى؟؟

(الدليل الثاني عشر) قوله تعالى: **﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** {الإسراء: ٢٤} .

هذه الآية من الدروس التربوية التي امتاز بها الإسلام، ومن الدروس المستفادة منها حفظ الجميل الذي قام به الوالدان تجاه ولدهما، ولو لم يكن إلا فرحهما بولادته لكفى، كيف وقد فرحا بحمله، وانتظرا ولادته، وفرحا بوضعه سالماً معافى، وأنفقا عليه ...الخ وكانا السبب في وجوده، وتشرفه بعبادة الله تعالى .

فكان من باب المكافأة أن يردَّ الولد بعضاً من الجميل لوالديه، ومن هذا الجميل أن يكون بالدعاء لهما، والشفاعة إن كانت منزلته عند الله أعلى، ولا أحد ابرَّ بوالديه من رسول الله ﷺ، ولا بدَّ من الشفاعة لهما حتى يكونا بمعيته في جنان الخلد .

(٨٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٤٠١، رقم:١١٨٣٨) .

أترىٰ إن شفع فيهما أيردُّ الله شفاعته؟ سيما وأنه لم يكونا مكلفين بشريعة؟!

روىٰ البيهقي عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « لَوْ أَدْرَكْتُ وَالِدَيَّ أَوْ أَحَدَهُمَا وَأَنَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَقَدْ قَرَأْتُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ تُنَادِي: يَا مُحَمَّدُ، لَأَجَبْتُهَا» (٨٤).

فيه من الإشارة إلىٰ كرم الأخلاق التي جُبل عليها ﷺ بحيث يقابل المليح الصادر من الوالدين بما هو أحسن منه، فيجيبهما حتىٰ لو كان في صلاة الفرض، وثمة شيء آخر هو: إيمان الوالدين، بحيث بلغا من المنزلة ما يجعل رسول الله ﷺ يترك صلاة الفريضة لإجابة دعائهما.

(الدليل الرابع عشر) قوله تعالىٰ: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً**﴾ [النساء: ١٤٧].

هذه الآية في معرض توبة من تاب من المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرا عَظِيما﴾{النساء: ١٤٥، ١٤٦}.

يقول الله تعالىٰ: إن المنافقين أشد خطراً من المشركين، لذا هم أسوأ حالاً منهم، إذ جعلهم الله تعالىٰ في الدرك الأسفل من النار، حيث زادوا علىٰ الكفر بالنفاق، لكن من تاب منهم سيغفر الله له، وسيلحقه بجماعة المؤمنين، الذي سيكرمهم الله تعالىٰ بدخول

(٨٤) شعب الإيمان (١٠/ ٢٨٤، رقم:٧٤٩٧)، ورواه في الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٣/ ٢٥٨، رقم:٢٣٦٠) وإسناده فيه ضعف.

جنته، ثم أعقب الله هذا السياق بقوله: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ ؟؟ فالنفي هنا على سبيل الإنكار، فهو مجاز، الذي يقتضي النفي القاطع عن الله تعالى من تعذيبه من آمن به، فإن الله تعالى لم يخلق الخلق ليعذبهم، ولكنه خلقهم ليكرمهم ويربحوا عليه، لا ليربح عليهم.

الشاهد: أن علة خلق العباد ليعرفوا الله تعالى ويعبدوه، ومن خالف منهم وكفر، وعمل ما بوسعه من المعاصي الموبقة، ثم يؤوب من غفلته، ويصحو من سكرته، ويعتذر إلى الله بالتوبة، فإن من كرم الله ورحمته أن يقبل معذرته، ويغفر ذنبه، ويكتبه مع المؤمنين .

فكيف بمن لم يسبق له أن حارب الله ورسوله، ولم يكن له من العمر المديد ليفعل المعاصي، ويقارف الشرك؟؟ بل كان موحداً لله على ملة أبيه إبراهيم، ولم يجر عليه قلم التكليف؟ أتراه في النار يُعذَّب؟؟ فما يفعل الله بعذابه ولم يكن من المكلفين بشرع؟

قال ابن عاشور: هذا تذييل لكلتا الجملتين: جملة إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، مع الجملة المتضمنة لاستثناء من يتوب منهم ويؤمن، وما تضمنته من التنويه بشأن المؤمنين من قوله: ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما﴾ [النساء: ١٤٦] .

والخطاب يجوز أن يراد به جميع الأمة، ويجوز أن يوجه إلى المنافقين على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ارتفاقا بهم .

والاستفهام في قوله: ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ أريد به الجواب بالنفي فهو إنكاري، أي لا يفعل بعذابكم شيئا.

ومعنى يفعل: يصنع وينتفع، بدليل تعديته بالباء. والمعنى أن الوعيد الذي تُوعد به المنافقون إنما هو على الكفر والنفاق، فإذا تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله غفر لهم العذاب، فلا يحسبوا أن الله يعذبهم لكراهةٍ في ذاتهم، أو تشفٍّ منهم، ولكنه جزاء السوء، لأن الحكيم يضع الأشياء مواضعها، فيجازي على الإحسان بالإحسان، وعلى الإساءة بالإساءة، فإذا أقلع المسيء عن الإساءة أبطل الله جزاءه بالسوء، إذ لا ينتفع بعذاب ولا بثواب، ولكنها المسببات تجري على الأسباب، وإذا كان المؤمنون قد ثبتوا على إيمانهم وشكرهم، وتجنبوا موالاة المنافقين والكافرين، فالله لا يعذبهم، إذ لا موجب لعذابهم [٨٥] .

وجملة وكان الله شاكرا عليما اعتراض في آخر الكلام، وهو إعلام بأن الله لا يعطل الجزاء الحسن عن الذين يؤمنون به ويشكرون نعمه الجمة، والإيمان بالله وصفاته أول درجات شكر العبد ربه .

(الدليل الخامس عشر) قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ {النساء: ٤٨} .

معلوم أن علة خلق الخلق هي عبادة الله تعالى، وأنه الإله المستحق للعبودية، وأن اعتقاد إله مع الله ينافي هذه العلة، لذا لم يحقق المشرك علة خلقه، فقد رسب في الامتحان إذا مات ولم يعتقد ألوهية الله، لذلك جاء النص القرآني؛ أن كل ذنب يقترفه العبد يغفره الله إذا تاب العبد منه، شريطة أن يكون محققاً لمقصد الله من خلقه وهو

[٨٥] التحرير والتنوير (٥/ ٢٤٥) .

التوحيد، وبالنظر إلى سيرة وأخبار حال الوالدين نجد أنهما كانا موحدين لله تعالى، رغم عدم وجود رسول، لكن الفطرة التي فطر الله عليها آباء النبي ﷺ جعلهم على الحنيفية، مشتملين على مكارم الأخلاق، وصلة الرحم، بل حرموا على أنفسهم شرب الخمر، ووأد البنات، والظلم، فإذا تقرر هذا فكل ما دون الشرك مغفور لهم، بنص الآية الشريفة، كيف وقد جاء العفو العام من الله تعالى بإطلاق سراح أهل الفترة رغم شركهم، وذلك بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] ، فإذا كان الله تعالى تكرم على من أشرك من أهل الفترة لعدم تكليفه وأطلق سراحه، أتراه يعذب من وحده رغم عدم تكليفه ويدخله النار؟؟

(الدليل السادس عشر) قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

مجيء أداة النفي (ما) في بداية الآية، ثم أداة الاستثناء (إلا) يفيد الحصر، أي أن الله تعالى ما أرسل رسوله إلا ليرحم خلقه به، وجاء لفظ (العالمين) ليفيد أن المشمول بالرحمة المؤمن والكافر، الطائع والعاصي، الطير والسباع، وكل ما يدب على الأرض، بل جعل بعضهم الملائكة داخلين في هذه الرحمة، لإطلاق اللفظ، ودخولهم ضمن جملة العالمين .

رحمة النبي بالمؤمنين عرفناها، لكن رحمته بالكفار لا نعرفها، فكيف تكون؟

الجواب: رحمهم الله بتأخير العذاب عنهم في الدنيا، وإمهالهم لعلهم يتوبوا من كفرهم، فهو الأمان ﷺ للأمة ، فعندما طلب أبو جهل أن يعجل الله بعذابه إن كان محمد صادقاً في رسالته، ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] أجابه الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فرحم الله المشركين رغم شركهم، ورغم طلبهم بتعجيل العذاب، لكون نبي الله ﷺ بين أظهرهم، لذا جاء في الصحيح: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة» [٨٦] .

فأولى الناس بالرحمة هم أصول النبي ﷺ وفروعه، ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ {البقرة: ٢١٥} .

أقـوال الـعلماء في عبد المطلب

وأذكر عبد المطلب خاصة هنا، زيادة على ما ذكرته في ترجمة آباء النبي ﷺ لأنهم وسموه بالشرك، وقالوا بأنه من أصحاب النار، وأقصد من ذلك: إذا كان عبد المطلب موحدا، فهل يعقل أن لا يغرس كلمة التوحيد، ومكارم الأخلاق في أحب ولده إليه؟ عبد الله!! فهو حامل النور الشريف، مصانا من سفاح الجاهلية .

قال المسعودي: إن العرب كانت في جاهليتها فرقاً: منهم الموحد المقر بخالقه، المصدق بالبعث والنشور، الموقن بأن الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي ... فممن كان مقراً بالتوحيد، مثبتاً للوعيد، تاركاً للتقليد، عبدُ المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وقد كان حفر بئر زمزم، وكانت مطْوية ...[٨٧].

قال الشهرستاني: اعلم أن العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع من العلوم:

[٨٦] المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٩١، رقم:١٠٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين .

[٨٧] [مروج الذهب ومعادن الجوهر (١٣٧/٢)] .

علم الأنساب والتواريخ والأديان، ويعدونه نوعا شريفا، خصوصا معرفة أنساب أجداد النبي عليه الصلاة والسلام، والإطلاع على ذلك النور الوارد من صلب إبراهيم، إلى إسماعيل عليهما السلام، وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب: سيد الوادي، شيبة الحمد، وسجد له الفيل الأعظم، وعليه قصة أصحاب الفيل.

۞ وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شر أبرهة وأرسل عليهم طيرا أبابيل.

۞ وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزمٍ ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنتها جرهم.

۞ وببركة ذلك النور ألهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده، وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال: "أنا ابن الذبيحين" أراد بالذبيح الأول إسماعيل عليه السلام، وهو أول من انحدر إليه النور فاختفى، وبالذبيح الثاني عبد الله بن عبد المطلب، وهو آخر من انحدر إليه النور فظهر كل الظهور.

۞ وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي. ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور.

۞ وببركة ذلك النور كان قد سلم إليه النظر في حكومات العرب والحكم بين المتخاصمين، فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند إلى الكعبة وينظر في حكومات القوم .

۞ وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور.

﴿ وببركة ذلك النور قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه ويذب عنه، وفيه قال وقد صعد إلى جبل أبي قبيس:

لاهمَّ إن المرء يمنـــع رحله فـامنع رحـالك

لا يغلبن صليـبهم ومِحالهـــم عــدوا مِحالك

إن كنت تاركـهم وكعبتنا فأمــر ما بــدا لك

﴿ وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لَم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب فيها المسيء بإساءته .

ومما يدل على إثباته المبدأ والمعاد: أنه كان يضرب بالقداح على ابنه عبد الله ويقول:

يا ربِّ أنت الـملك المحمود

وأنت ربـي المـبدئ والمعيد

من عندك الطارف والتليد

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة: أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب العظيم، وأمسك السحاب عنهم سنتين، أمر أبا طالب ابنه أن يُحضر المصطفى محمداً ﷺ فأحضره وهو رضيع في قماط، فوضعه على يديه، واستقبل الكعبة ورماه إلى السماء (أي رفعه بيديه فوق رأسه) وقال: يا رب! بحق هذا الغلام، ورماه ثانيا وثالثا،

وكان يقول: بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هطلا. فلم يلبث ساعة أن طبق السحاب وجه السماء وأمطر، حتى خافوا على المسجد . وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثـمال اليتامى عصمة للأرامـل

انتهى كلام الشهرستاني[٨٨]، ومما يدعم القول بإيمان عبد المطلب، انتساب وافتخار النبي ﷺ به يوم حنين بقوله [٨٩] :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ لا ينتسب، ولا يفتخر بكافر، فقد نهى عن الانتساب للمشركين، روى البيهقي عن أبي هريرة : « إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى وفاجر شقى، والناس بنو آدم وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن» [٩٠]. فلو كان جده عبد المطلب كافراً لما افتخر به ﷺ .

[٨٨] [الملل والنحل (٣/ ٨٤)].

[٨٩] ذكرة الهيثمي في [مجمع الزوائد (١٩٤/٦) برقم: (١٠٢٧٦)] ، وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

[٩٠] أخرجه البيهقي في [شـعب الإيمان (١٨١٦/٤) برقم: (٥١٢٧)، أحمد (ص:٧٣٦) برقم: (١٠٩١)، أبو داود (ص:٥٥٢) برقم: (٥١١٦)، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحسـاب، الترمذي، (ص:٦٠٧) برقم: (٣٩٥٥)، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن] . وقال: هذا حديث حسن غريب.

طهارة النسب دليل التوحيد

نستدل من طهارة النسب على إيمان الأبوين المكرمين، فإنه إذا ثبتت طهارة نسبهما ثبت إيمانهما، لأن الطاهر لا يكون نجسا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، أي نجس العقيدة، لا نجاسة الذات، والمؤمن لا ينجس، لصحة عقيدته، فالمشرك نجس، والمؤمن طاهر . روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ» [٩١] ، وقد ثبت لدينا فيما لا يقبل الشك طهارة نسبه ﷺ فثبت إيمان آبائه جميعا.

قال الماوردي: إن الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة . قال ابن عباس في تأويل قول الله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ : أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه، ثم لَمْ يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتها إليه وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية، ولتفرده نهاية، فيزول عنه أن يشارَك فيه، ويماثَل فيه، فلذلك مات عنه أبواه في صغره، فأما أبوه فمات وهو حمل، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين، وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس في آبائه مسترذل، ولا مغمور مستبدل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة [٩٢] .

[٩١] [صحيح البخاري (١/ ٦٥، رقم: ٢٨٥)] .

[٩٢] [أعلام النبوة (ص: ٢٠١)] .

قال الألوسي: واستدل بالآية على إيمان أبويه ﷺ كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله تعالى عنهما، على رغم أنف على القارئ وأضرابه بضد ذلك [٩٣].

قلت: وخص الألوسي (علي القاري) بالذكر هنا لأنه اعتمد في رسالته التي ألفها في معتقد أبي حنيفة في والدي النبي ﷺ على النسخة المحرفة، التي فيها أن والديه ﷺ ماتا على الكفر، وسيأتي بيان ذلك في رد الشبهات .

الأدلة من السنة المطهرة

الآدلة التي سأوردها ليست قطعية الدلالة على تخصيص الوالدين الكريمين، بل هم مشمولون في عموم الأحاديث، يُستأنس بها في هذا المجال، وهي أقوى في الدلالة من الأدلة التي أتى بها الخصم، وهي قسمان:

الأول: تنص على خيرية النبي ﷺ وأهل بيته الذين منهم برز، وهذه الخيرية دالة على توحيدهم وإيمانهم الذي امتازوا به عن أهل زمانهم، إذ الكرامة عند الله هي بالتقوى.

والثاني: تنص على شفاعة النبي ﷺ ، وحاشاه أن يشفع بأقوام ولم يشفع لوالديه .

(الدليل الأول) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَلَبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وَقَلَبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٩٤] .

[٩٣] [روح المعاني (١٣٥/١٠)] .

[٩٤] السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٣٢، رقم:١٤٩٤) .

(الدليل الثاني) عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ نَاساً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّا نَسْمَعُ مِنْ قَوْلِكَ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: إِنَّمَا مَثَلُ مُحَمَّدٍ مَثَلُ نَخْلَةٍ أَنْبَتَتْ فِي كِبَاءٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَنَا؟» قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» قَالَ: فَمَا سَمِعْنَاهُ انْتَمَىٰ قَبْلَهَا قَطُّ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ ثُمَّ فَرَّقَهُمْ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا، وَخَيْرُكُمْ نَفْسا» [٩٥] .

(الدليل الثالث) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «... إن الله خَلَقَ الْخَلْقَ، فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشاً، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَىٰ خِيَارٍ » [٩٦] .

(الدليل الرابع) وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ أَبِي وَأُمِّي، فأنا خَيركُم نفساً، وَخَيْرُكُمْ أَبا » [٩٧] . ﷺ

أفادت هذه الأحاديث بمجموعها أن رسول الله ﷺ خير البشر علىٰ الإطلاق، وبيته خير بيوتات البشر في الآفاق، فلا يوجد علىٰ الأرض أهل بيت أفضل من أهل بيته؛ آباؤه وأبناؤه، فآباؤه خير الآباء، وأبناؤه خير الأبناء ، فهم الذين اصطفاهم الله علىٰ

[٩٥] مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٩٦، رقم:٩١٩)، مسند أحمد ت شاكر (٢/ ٣٩٦، رقم:١٧٨٨)، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣١٨، رقم:٤٣٩)، المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٢٨٦، رقم:٦٧٥) .

[٩٦] دلائل النبوة للبيهقي محققا (١/ ١٧٢) ، إمتاع الأسماع (٣/ ٢١١).

[٩٧] دلائل النبوة للبيهقي محققا (١/ ١٧٤)، تلقيح فهوم أهل الأثر (ص: ١٧)، .

سائر البشر، ويستحيل أن يصطفي الله تعالىٰ عبداً ثم يهينه بدخول النار، إذ يتنافىٰ اجتماع الضدين، فما دام أنه اختارهم واصطفاهم فهم في دار اصطفائه وكرامته، فوالداه ﷺ وجده ممن اصطفىٰ .

(الدليل الخامس) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَادِمٌ تَخْدُمُهُمْ، يُقَالُ لَهَا: بَرَّةُ، فَلَقِيَهَا رَجُلٌ، فَقَالَ لَهَا: يَا بَرَّةُ غَطِّي شُعَيْفَاتِكِ، فَإِنَّ مُحَمَّداً لَنْ يُغْنِيَ عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، فَأَخْبَرَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ مُحْمَرَّةً وَجْنَتَاهُ وَكُنَّا مَعْشَرُ الْأَنْصَارِ نَعْرِفُ غَضَبَهُ بِجَرِّ رِدَائِهِ، وَحُمْرَةِ وَجْنَتَيْهِ فَأَخَذْنَا السِّلَاحَ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنَا بِمَا شِئْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَمَرْتَنَا بِأُمَّهَاتِنَا وَآبَائِنَا وَأَوْلَادِنَا لَأَمْضَيْنَا قَوْلَكَ فِيهِمْ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» فَقُلْنَا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِنْ مَنْ أَنَا؟» . فَقُلْنَا: أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخَرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخَرَ، وَأَوَّلُ مَنْ يُنْفَضُ التُّرَابُ عَنْ رَأْسِهِ وَلَا فَخَرَ، وَأَوَّلُ دَاخِلٍ الْجَنَّةَ وَلَا فَخَرَ، مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَحِمِي لَا تَنْفَعُ، لَيْسَ كَمَا زَعَمُوا، إِنِّي لَأَشْفَعُ، وَأُشَفَّعُ حَتَّىٰ إِنَّ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ لِيَشْفَعَ فَيُشَفَّعُ، حَتَّىٰ إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ فِي الشَّفَاعَةِ» [٩٨].

(الدليل السادس) عَنْ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، مِنْ حَجَرٍ وَمَدَرٍ» [٩٩] .

[٩٨] المعجم الأوسط (٥/ ٢٠٢، رقم:٥٠٨٢) .

[٩٩] المعجم الأوسط (٥/ ٢٩٥،رقم:٥٣٦٠) .

ولفظه عند البزار: «إِنِّي لأَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَكْثَرَ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَحَجَرٍ، وَايْمُ اللهِ! مَا أَحَدٌ أَوْصَلَ لِرَحِمِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفَيَرْجُوهَا غَيْرُهُ وَيُقَصِّرُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟» [١٠٠]. قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُ رَوَى أُنَيْسٌ إِلا هَذَا، وَلا لَهُ إِلا هَذَا الإِسْنَادُ.

(الدليل السابع) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ» [١٠١].

(الدليل الثامن) عن أنس في حديث الشفاعة بكوله، وفيه: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»، وزاد أبو سعيد: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ

[١٠٠] كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٢٤، رقم:٢٦٢٠) ، قال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٦/ ٢٧٠٥): رواه أحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن أهـ

[١٠١] صحيح البخاري (٥/ ٥٢، رقم:٣٨٨٥)، (٨/ ١١٦، رقم:٦٥٦٤) .

قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ » [١٠٢].

الشاهد: إن من كرامة النبي ﷺ على ربه أن يعطيه الشفاعة يوم القيامة، فيشفع الشفاعة الكبرى في الخلق جميعا، ثم يشفع مرة أخرى، فيشفعه الله فيمن كان في قلبه مثقال خردلة، ومثقال ذرة من إيمان، ويشفعه بمن قال كلمة التوحيد مرة واحدة ولم يعمل بمقتضاها ، ويشفع لعمه أبي طالب فيخرجه من غمرات النار إلى ضحضاح، ثم قال النبي ﷺ معترضاً على من نال من أهل بيته: « إِنِّي لَأَشْفَعُ، وَأُشَفَّعُ حَتَّى إِنَّ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ لِيَشْفَعَ فَيُشَفَّعُ، حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ فِي الشَّفَاعَةِ»، وعند البزار: «وَايْمُ اللهِ! مَا أَحَدٌ أَوْصَلَ لِرَحِمِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفَيَرْجُوهَا غَيْرُهُ وَيُقَصِّرُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟» .

فقه الأحاديث: إن من يشفع له النبي ﷺ هو من أمته، بدليل ما رواه أبو داود (٤/ ٢٣٦، رقم:٤٧٣٩) عَنْ أَنَسٍ «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وأهل الكبائر غير كفار بإجماع أهل السنة قاطبة، وجاء النص في الصحيحين أنه ﷺ يشفع لعمه أبي طالب، حتى يخفف الله عنه العذاب، دل ذلك على عدم كفره، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾{البقرة: ١٦١، ١٦٢} ، فما دام أنه خُفف عنه العذاب فهو غير كافر بنص القرآن، وعدم كفره دليل إسلامه، والمسلم الذي لقي النبي ﷺ وآمن به فهو صحابي، ودخوله الناس حسبما

[١٠٢] صحيح البخاري، باب كلام الرب عز وجل، (١٤٦/٩)، ومسلم في الصحيح، باب أدنى أهل الجنة منزلة، (١٨٢/١) ، وغيرهما بسند صحيح .

دلت عليه القرائن كان بسبب عدم تلفظه بالشهادتين، رغم امتلاء قلبه بالإيمان، والتصديق بدعوة النبي ﷺ نأخذ ذلك من شعره:

ولقد علمتُ بأنَّ ديـنَ محمدٍ مِـنْ خيْر أديانِ البريةِ دينا
لَوْلَا المْلَامَة أَو حذَارِي سبةٍ لوجدتّني سَمحا بِذَاكَ مُبينًا

فإذا شفع النبي ﷺ لعمه الذي أدرك بعثته ولم ينطق بالشهادتين، فأخرجه من غمرات النار، ألا يشفع لوالديه وجدِّه بأن ينزلهم الله تعالى الدرجات العُلى في الجنة، سيما وأنهم معذورون لعدم تبليغهم دعوة الله، ولم يُبعث فيهم رسل؟! وهم من أهل الفترة التي عذرهم الله فيها .

الأدلة من الإجماع

إجمع علماء الأمة على نجاة أهل الفترة، وأن جده عبد المطلب، ووالديه ماتوا جميعاً قبل الرسالة، وثبت بما لا يقبل الشك أن آباءه جميعاً كانوا على ملة إبراهيم، ولغيرها من الأدلة التي سقناها توجب القطع بنجاة سلسلة الآباء الشريفة، وأن ما أتى به البعض من أدلة على ضد ذلك إما ضعيف، أو ظني الدلالة، أو طرقه التأويل، ومنهم من رجع عن قوله، وما عدا ذلك فهو إما ناصبي، أو عدو للإسلام، يريد أن يطعن في رموزه، أو منسوب إليه زورا، ربما دسه الحشوية عليهم، وهذا ما أجمع عليه الأشاعرة .

ومما قرره العلماء بعد هذا أن الطعن في الأبوين الكريمين هو إساءة بحقه ﷺ يوجب التعزير لصاحبه، وهو إيذاء صريح للنبي ﷺ توعد الله تعالىٰ عليه بالعذاب الأليم في الآخرة والخزي في الدنيا .

عمر بن عبد العزيز يهمُّ بقتل من أساء الأدب:

روىٰ ابن عساكر عن نوفل بن الفرات: أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز قال: وكان رجلاً من كتّاب الشام مأموناً عندهم، استعمل رجلاً علىٰ كورة من كور الشام، كان أبوه يزن بالمنانية قال: فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: ما حملك علىٰ أن تستعمل رجلاً علىٰ كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية؟ قال له: أصلح الله أمير المؤمنين، وما عليَّ ما كان أبوه؟ كان أبو النبي ﷺ مشركا، فقال عمر: آه ثم سكت، ثم رفع رأسه فقال: أأقطع لسانه؟؟ أأقطع يده ورجله؟؟ أأضرب عنقه؟؟ ثم قال: أقد جعلت هذا عدلاً للنبي صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم؟ لا تلي لي شيئا ما بقيت [١٠٣] .

محنة وكيع الجراح شيخ الشافعي [١٠٤] :

وهي غريبة تورط فيها، ولَمْ يُرد إلا خيرا، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي ﷺ : «كفىٰ بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع» فليتق عبدٌ ربه، ولا يخافن إلا ذنبه.

[١٠٣] {تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ٢٢٢)} .

[١٠٤] {سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٩)} .

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي: أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك!! ثم قال البهي: وكان تُرك يوماً وليلة، {**حتى ربا بطنُه، وانثنت خنصراه**} . أي أوشك أن يتحلل جسم النبي ﷺ .

قال ابن خشرم: فلما حدّث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله، هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف، قال سفيان: ولَمْ أكن سمعته، إلا أني أردت تخليص وكيع .

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع بعد ما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته .

قال الذهبي معلقاً: فهذه زلة عالِم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر، المنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطا، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة، وإنما المحذور: أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسادهم، والنبي ﷺ مفارق لسائر أمته في ذلك فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن – وما زال – أطيب ريحاً من المسك، وهو حي في لحده، حياة مثله في البرزخ التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء .

قلت: هذا نوع من إيذاء النبي ﷺ ومثله من قال بكفر الوالدين، فهو إيذاء له ﷺ يستحق صاحبه التعزير.

فتوى علماء الأندلس بقتل فقيه [١٠٥] :

وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقي الطليطلي وصلبه بما شُهد عليه به من استخفافه بحق النبي ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته «**باليتيم، وختن حيدرة**» وزعمه أن زهده لَمْ يكن قصدا، ولو قدر على الطيبات أكلها، إلى أشباه هذا .

قلت: وهو من نوع الإيذاء للنبي ﷺ وقياساً عليه يعزر كل من آذى النبي ﷺ في أهل بيته، ووالديه وجده .

فتوى فقهاء القيروان بقتل الفزاري :

وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبى العباس ابن أبى طالب للمناظرة، فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء باللهَّ وأنبيائه ونبينا ﷺ فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء، وأمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين، وصلب منكساً ثم أنزل وأحرق بالنار [١٠٦] .

حكى بعض المؤرخين: أنه لما رفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي، استدارت وحولته عن القبلة، فكان آية للجميع، وكبرّ الناس، وجاء كلب فولغ في دمه فقال

[١٠٥] {الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١٨)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٢/ ٢٥)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٣٧٨)} .

[١٠٦] {دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (٢/ ٧١٤)، حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٤٢٢)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢/ ٢١٨)} .

يحيىٰ بن عمر: صدق رسول الله ﷺ وذكر حديثا عنه ﷺ أنه قال : «لا يلغ الكلب في دم مسلم» .

وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط: من قال: إن النبي ﷺ هُزم يستتاب، فإن تاب وإلا قتل لأنه ينتقصه، إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته ﷺ إذ هو علىٰ بصيرة من أمره، ويعلن عن عصمته .

فتوى القاضي ابن العربي:

سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية رحمه الله تعالىٰ عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ.

فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينا﴾ {الأحزاب:٥٧} قال: ولا أذىٰ أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار [١٠٧] .

الحافظ القسطلاني:

قال بعد ذكر الوالدين الشريفين: فالحذر الحذر، من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك يؤذىٰ النبي ﷺ، فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف بوصف به، وذلك الوصف فيه نقص تأذىٰ ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال

(١٠٧) {سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٢٦٠)} .

عليه الصلاة والسّلام: «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات»، ولا ريب أن أذاه عليه الصلاة والسّلام كفر يُقتل فاعله إن لَم يتب عندنا [١٠٨] .

الإمام أبو بكر بن العربي المالكي:

قول السيوطي عنه: نقلت بخط الشيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمهما الله تعالى ما نصه: سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار، فأجاب بأنه ملعون، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينا﴾ {الأحزاب:٥٧} ، قال: لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار [١٠٩] .

الإمام القرطبي:

إن فضل النبي ﷺ وخصائصه لَم تزل تتوالى إلى مماته ﷺ فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلاً ولا شرعا..[١١٠]

(١٠٨) {المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ١١١)} .

(١٠٩) الدرج المنيفة في الآباء الشريفة : (ص:١٠٣)} .

(١١٠) {التذكرة معلقاً على حديث إحياء الوالدين (ص:١٦)} .

الإمام الالوسي :

وذكر بعضهم أن الإيذاء لا يختص بحال حياته ﷺ بل يكون بعد وفاته ﷺ أيضا وعدوا من ذلك التكلم في أبويه ﷺ بما لا يليق وكذا إيذاء أهل بيته رضي الله تعالى عنهم [١١١].

وقال أيضاً: إن القول بإيمان أبويه ﷺ قول كثير من أجلة أهل السنة، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله عنهما على رغم أنف القاري وأضرابه بضد ذلك[١١٢].

الإمام ابن حجر الهيتمي:

قال عند شرحه للبيت:

لم تزل في ضمائر الكون تختـ ارُ لك الأمهاتُ والآباءُ

فيه أن المراد: تنقل نوره من ساجد إلى ساجد، وحينئذ فهـذا صريح في أبوي النبي ﷺ آمنة وعبد الله من أهل الجنة، لأنهما أقرب المختارَين له ﷺ وهذا هو الحق، بلى في حديث صححه غير واحد من الحفاظ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه: أن الله تعالى أحياهما له ، فآمنا به، خصوصية لهما، وكرامة له ﷺ .

(١١١) {تفسير الألوسي ، روح المعاني (٥/ ٣١٧)} .

(١١٢) {تفسير الألوسي ، روح المعاني (١٣٥/١٠)} .

شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي [١١٣]:

اختار أن الله أحيا الأبوين فآمنا بالنبي صلَّى اللهُ عليه وسلم وأنشد:

حبا الله النبيَّ مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
أحيا أمَّه وكذا أباه لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالإله بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

شرف الدين المناوي:

نقل عنه السيوطي: أنه سئل عن والد النبي ﷺ: هل هو في النار؟ فزأر السائلَ زأرة شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال: إنه مات في الفترة، ولا تعذيب قبل البعثة [١١٤].

العلامة ابن عابدين [١١٥]:

قال تحت عنوان: [من مات على الكفر أبيح لعنه إلا والدي رسول الله ﷺ]

لثبوت أن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا به، كذا في الأشباه عن مناقب الكردري وقد ذكر هذا الحديث طائفة من الحفاظ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه وهو ضعيف لا

(١١٣) مورد الصادي في مولد الهادي.

(١١٤) {مسالك الحنفا ص:١٤}.

(١١٥) {العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية (٣٣١/٢)}.

موضوع، فيعمل به في فضائل الأعمال ومن جملتها هذا، كيف وقد ورد أحاديث دالة على طهارة نسبه الشريف ﷺ من دنس الشـــرك وشين الكفر، ومحل كون الإيمان لا ينفع بعد الموت في غير الخصوصية .

وقد أمرنا أن نمسك اللسان إذا ذكر أصحابه رضي الله تعالى عنهم بشيء يرجع إلى العيب أو النقص، فيهم فلأن نمســك ونكف عن أبويه أحق وأحرى، إذا تقرر ذلك فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبيه ﷺ بوجه من الوجوه ولا خفاء في أن إثبات الشرك في أبويه إخلال ظاهر بشرف نسب نبيه الطاهر، وجملة هذه المسائل ليست من الاعتقاديات، فلا حظ للقلب فيها، وأما اللسان فحقه الإمساك عما يتبادر منه النقصان، خصوصا عند العامة، لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه، وقد أتى العلامة الخفاجي بوجه آخر نظمه، وفيه أيضا الصواب فقال:

لوالدي طه مقام علا فـي جنَّة الخلد ودار الثـواب
وقطـرة مـن فضلات له في الجوف تنجي من أليم العقاب
فكيف أرحام له قد غدت حاملةً تصلى بنار العذاب

لأن فضلاته ﷺ طاهرة كما جزم به البغوي وغيره وهو المعتمد، لأن أم أيمن : بركة الحبشية شربت بوله ﷺ فقال: « لن تلج النار بطنك» وقال أبو جعفر الترمذي: دم النبي ﷺ طاهر، لأن أبا طيبة شربه، وفعل مثل ذلك ابن الزبير وهو غلام، حين أعطاه النبي ﷺ دم حجامته ليدفنه فشربه، فقال له النبي ﷺ : «من خالط دمه دمي لم تمسه النار» .

وهذه الأحاديث مذكورة في كتب الحديث الصحيحة، وذكرها فقهاؤنا، وتبعهم الشافعية: كالشربيني في شرح الغاية، وفقهاء المالكية، والحنابلة، فكلنت كالمجمع عليها، فحيث ثبت أن فضلاته ﷺ تنجي من النار، فكيف من رُبي من دمها ولحمها، وربي في بطنها، ومن كان أصل خلقته الشريفة منه يدخل النار!! هذا ما جرىٰ به لسان القلم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم . انتهىٰ بتصرف يسير .

الإمام الزرقاني [١١٦] :

وقد بيَّنَّا لك أيها المالكي حكم الأبوين، فإذا سئلت عنهما فقل: إنهما ناجيان في الجنة، إما لأنهما أُحييا حتىٰ آمنا، كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي، وناصر الدين بن المنير، وإن كان الحديث ضعيفا، كما جزم به أولهم، ووافقه جماعة من الحفاظ، لأنه في منقبة، وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف، وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها، كما جزم به الأُبي، وإما لأنهما كانا علىٰ الحنيفية والتوحيد، ولم يتقدم لهما شرك، كما قطع به الإمام السنوسي، والتلمساني المتأخر محشي الشفاء .

العلامة الباجوري [١١٧] :

{فائدة} : إذا علمت أن أهل الفترة ناجون علىٰ الراجح، علمت أن أبويه ﷺ ناجيان لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم، لَم يدخلهم كفر، ولا رجس، ولا عيب، ولا شيء مما كان عليه الجاهلية بأدلة نقلية كقوله تعالىٰ:

[١١٦] شرح المواهب اللدنية (٣٤٩/١) .

[١١٧] {عند شرحه البيت التاسع من الجوهرة (ص:٦٨)}.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ، وقوله: «لَمْ أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات»، وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر.

(١٦) **القاضي محمد بن عمر بحرق الشافعي** [١١٨] :

قال: إن من خصائصه ﷺ: أن الله تعالى أحيا له أبويه فآمنا به .

قال القرطبي: فهذا ناسخ لما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ زار قبر أمه وقال : استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي، فاستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي.

العلامة محمد عبد الله الجرداني الشافعي [١١٩] :

(**مطلب في نجاة أبويه ﷺ**) : وبما تقرر تعلم أن أبويه ناجيان لأنهما من أهل الفترة، بل جميع أصوله صلَّى اللهُ عليه وسلم ناجون، محكوم بإيمانهم، لَمْ يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب، ولا شيء مما كان عليه الجاهلية، بأدلة نقلية وعقلية، كقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء:٢١٩} ، وقوله ﷺ: «لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات، إلى الأرحام الزاكيات»، ولأنه ﷺ أشرف المخلوقات، فلا يحل إلا في شريف عند الله تعالى، والشرف لا يجامع الكفر، وأما آزر فكان عم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإنما سمي أباً جرياً على عادة العرب من تسمية العم بالأب .

[١١٨] {حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص: ١١٣)} .

[١١٩] فتح العلاّم بشرح مرشد الأنام (٣٢/١)} .

الإمام فخر الدين الرازي:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {الأنعام:٧٤} : مما يدل على أن آباء سيدنا محمد ﷺ ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام: «لَمْ أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ {التوبة:٢٨} ، فوجب الإيمان أن لا يكون أحد أجداده مشركا، قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ .

التزوير على الإمام أبي حنيفة رحمه الله

نُسب إلى الإمام رحمه الله قول: أن والدي المصطفى ﷺ ماتا على الكفر، وهذه العبارة جاءت في كتابه الفقه الأكبر، وقد أخذ المبغضون لجناب النبوة هذه المقولة ذريعة لوسم الوالدين الكريمين بالكفر والعياذ بالله، ودليل بغضهم أن الغالبية العظمى منهم يبغضون الإمام أبا حنيفة، ولا يعتنون بمؤلفاته، لكنهم عندما وجدوا في كتبه عبارة تؤيد مذهبهم، اهتموا بها، واعتنوا بالكتاب تحقيقاً وطباعة، واعتبروا هذه العبارة دليلاً قطعيا، وإجماعاً على صحة مذهبهم، وممن تبنى هذه المقولة: الشيخ مُلا علي القاري الحنفي، في رسالة سماها: معتقد أبي حنيفة في والدي النبي ﷺ ، وقد قام بتحقيقها وطبعها بعض النواصب .

[**الجواب**]: إن أغلب نسخ مخطوطات كتاب الفقه الأكبر نالها التحريف، إما من النساخ، أو من الحشوية، بقصد أو بغير قصد، كما حصل لكتاب الإبانة للأشعري، فلا تكاد تقع على نسخة تشبه الأخرى، مما يجعلنا نشك بما جاء في الكتاب، خاصة بما يتمسك به الحشوية، أو خالف إجماع الأمة ، وحتى يكون كلامي موضوعياً أعرض

تالياً بعض مخطوطات الكتاب التي بحوزتي، كما سأعرض كلام النُّقاد من علماء السادة الأحناف حول هذه القضية، كونهم أعلم بمسائل إمامهم :

النسخة الأولى:

مخطوط الفقه الأكبر:

الاسم: مجموع أوله شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة .

رقمه: ٨٠١٧ ف١٧٨٢٣/ ٢

المصدر: جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات .

جاء في الورقة رقم (٢٦) منه: قول الإمام: ووالدا رسول الله ﷺ ماتا في فترة الوحي، وأبو طالب عمه مات كافرا ...

فهذه النسخة خلت من عبارة: «ماتا على الكفر» ، وإنما قال: ماتا في فترة الوحي، وهي عبارة لا تدل على كفر الوالدين، وإنما شأنهم شأن أهل الفترة .

والنسخة الثانية: في مكتبة الشيخ عارف حكمت، وهي الآن ضمن مخطوطات مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، تحت رقم مجاميع: (٢٢٠)، وفيها: «**ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة** » .

والنسخة الثالثة: في دار الكتب المصرية، ضمن رقم: مجاميع (٢٠٠٨)، وفيه: «**ووالدا رسول الله ﷺ ما ماتا على الكفر** » ، هذا ما وقع لي خلال بحثي عن مخطوطات رسالة الفقه الأكبر لأبي حنيفة رضي الله عنه .

قال الأستاذ محمد آل رشيد:

فإن قال القارئ: إن ملا علي القارئ نقل في صدر هذه الرسالة أن هذا الإمام قال في كتابه الفقه الأكبر ما نصه : "ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر" وإذا كان هذا قوله في كتابه المنسوب إليه فكيف تسميه افتراء عظيما.

وأنا أقول: إن الذي قاله الرجل في فقهه الأكبر ليس ما ذُكر، بل الذي قاله نصه : "ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة، وأبو طالب مات كافرا" ، هذا الذي رأيته أنا بعيني في الفقه الأكبر للإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، رأيته بنسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد، حتى قال بعض العارفين هناك: أنها كتبت في زمن العباسيين، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها: (٢٢٠) من قسم المجاميع بتلك المكتبة ، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة، وهو يجدها هناك بهذا النص الذي نقلناه هنا.

ولا يظن القارئ أن رؤيتي هذه ترجع إلى عهد بعيد، لا يظن هذا، وليتأكد أنها كانت في موسم الحج الفائت سنة (١٣٥٤) هـ ، بيننا وبينها وقت كتابة هذا يوم الخميس (٤) جمادى الأولى سنة (١٣٥٥) هـ – خمسة شهور وكسر ، لأني كنت بالمدينة المنورة إلى أوائل شهر ذي الحجة من سنة أربع وخمسين ، ومن تأمل وجد أن النقل الذي بنسخة ملا علي قاري به بليتان:

البلية الأولى: أنه كذب يخالف النسخة القديمة التي مر ذكرها .

والبلية الثانية: أن التدليس دخله ، فإن الذي يقرأ: "وأبو طالب مات كافرا" بعد النص الذي نقله ملا علي يقول معترضاً حالا – إذا كان والدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر، وأبو طالب كذلك، فكان حق الكلام أن يكون هكذا: ووالدا رسول الله ﷺ وأبو طالب ماتوا كفارا ، لا أن يذكر كفر أبويه ﷺ وحده، ويذكر كفر أبي طالب عقبه وحده، أما نسختنا هذه فواضح جداً ما بها من إفراد كفر أبي طالب ، فإن الحكمين حينئذ مختلفان، فيذكر ما يفيد إيمان أبويه ﷺ ثم ينص على كفر أبي طالب ، ولعل القارئ يتبادر إلى ذهنه أن لفظ: "الكفر" الذي ينقله ملا علي حُرِّف عن لفظ: "الفطرة" الذي بنسختنا التي نبهناك عليها ، ونقلنا لك نَقْلَنا هذا منها، فإن اللفظين بينهما قرب ظاهر ، وهل ذلك التحريف مقصود؟ إن حذف الحكم على أبي طالب يقول ذلك ، نقول هذا ولا ندري هل هذا الحذف من المؤلف أم من الناشر ؟

رجوع ملا علي القاري عن قوله:

وإني لا أسكت بعد هدم تكأة ملا على هذا الهدم، بل أخير القارئ بين طريقتين في بيان أن تلك الرسالة لا قيمة لها ، طريق وعر طويل ، وهو طريق إيراد كل ألفاظ تلك الرسالة، وبيان ما بها من بعد عن الحق ، وطريق قريب جداً وهو مع ذلك معبَّد غاية التعبيد ، وهو إيراد كلمات تعد على الأصابع تغنى عن كل هاتيك المناقشات، وتفيد المقصود إفادة لا تفيده مناقشتي أبدا مهما كانت واضحة وبليغة ، ولعله لا يتردد في اختيار الطريق الثاني وإني أنزل على إرادته فأقول :

إن الشيخ العلامة الكبير مُلا علي قاري رحمه الله، وأحسن إليه وزاد النفع به، رجع عما كتبه بتلك الرسالة بما كتبه في شرحه على الشفا للقاضي عياض ، ولعل القارئ يكاد

يطير فرحاً بهذا الخبر السار كل السرور من كل ناحية ، نعم كل مؤمن يفيض بشراً وفرحاً إذا سمع مثل هذا عن رجل كبير كمُلا علي قاري .

وإني أعجل البشرىٰ للقارئ و أنقل كلام الشيخ في ذلك الشرح ليراه الباحث بعينه ، وكلامه هذا في موضعين من هذا الشرح الموضع الأول برقم (٦٠١)، والموضع الثاني برقم (٦٤٨)، من طبعة استانبول الصادرة سنة (١٣١٦) هـ :

أما الموضوع الأول: فذكر صاحب الشفاء : " أن أبا طالب قال للنبي ﷺ : وهو رديفه بذي المجاز، عطشت وليس عندي ماء ، فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال : اشرب " ، قال بعد هذا ملا علي قاري ما نصه : " قال الدلجي الظاهر أن هذا كان قبل البعثة يعنىٰ فيكون من الإرهاصات ، ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ، ولعل فيه إيماء إلىٰ أنه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات ، في أواخر الزمان قريب الألف من السنوات عين في عرفات ، تصل إلىٰ مكة وحواليها من آثار تلك البركات ، هذا وأبو طالب لم يصح إسلامه ، وأما إسلام أبويه ففيه أقوال ، والأصح إسلامهما علىٰ ما اتفق عليه الأجلة من الأمة كما بينه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة.

وأما الموضع الثاني فقال فيه الشيخ رحمه الله ما نصه: " وأما ما ذكروا من إحيائه عليه الصلاة والسلام أبويه، فالأصح أنه وقع علىٰ ما عليه الجمهور الثقات ، كما قال السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفات " اهـ . كلام الأستاذ محمد آل رشيد .

قال الإمام مصطفى صبري: فصادفت المقالة التي نبرئ الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عن تكفير والدي رسول الله ﷺ وتصحح ما كتب في النسخ «للفقه الأكبر»

المنسوب إلى الإمام من لفظ: «ماتا على الكفر» بما رآه بعينيه في المدينة المنورة من نسخة ضمن مجموع مخطوطة ترجع كتابتها إلى بعيد بمكتبة عارف حكمت بك، أحد مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية من لفظ: «ماتا على الفطرة»، وهو الأوفق بسياق كلام الإمام، فشكرت فضيلة المؤلف على توثيق التصحيح الذي سمعناه من أفواه بعض الأساتذة بهذا الضبط[١٢٠].

الإمام الكوثري:

وهو من كبار علماء الدولة العثمانية، حنفي المذهب، أشعري العقيدة، كان يشغل منصب شيخ الإسلام، قال: وفي مكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة نسختان من الفقه الأكبر، رواية حماد قديمتان وصحيحتان، فيا ليت بعض الطابعين قام بإعادة طبع الفقه الأكبر من هاتين النسختين، مع المقابلة بنسخ دار الكتب المصرية، ففي بعض تلك النسخ: وأبوا النبي ﷺ ماتا على الفطرة، و«الفطرة» سهلة التحريف إلى «الكفر» في الخط الكوفي، وفي أكثرها: «ما ماتا على الكفر»، كأنَّ الإمام الأعظم يريد به الرد على من يروي حديث: «أبي وأبوك في النار»، ويرى كونهما من أهل النار، لأن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني، وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفى فيه بالظني[١٢١].

[١٢٠] {في مقدمته لكتاب الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي: (النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية) مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٤هـ (ص:١٥)}.

[١٢١] {في مقدمته لكتاب: العالِم والمتعلم (ص:٧)}.

الإمام محمد مرتضى الـزَّبيدي:

قال في تعليقه على مقولة الإمام الأعظم أبي حنيفة: وكنت رأيتها بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفى العمري الحلبي، مفتي العسكر العالِم المعمر ما معناه : إن الناسخ لما رأى تكرر « ما» في « ما ماتا» ظن أن إحداهما زائدة فحذفها، فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل على ذلك سياق الخبر، لأن أبا طالب والأبوين لو كانوا جميعاً على حالة واحدة لجمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة، لا بِجملتين مع عدم التخالف بينهم في الحكم [١٢٢].

وعلق الإمام الكوثري: وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي، إلا أنه لَمْ يكن رأى النسخة التي فيها « ما ماتا » وإنما حكى ذلك عمن رآها، وإني بحمد الله رأيت لفظ « ما ماتا» في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين، كما رأى بعض أصدقائي لفظَي «ما ماتا» و «على الفطرة» في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة، وعلي القاري بنى شرحه على النسخة الخاطئة وأساء الأدب سامحه الله.

الشيخ مصطفي أبو سيف الحمامي[١٢٣] :

هذا الذي رأيته أنا بعيني في الفقه الأكبر للإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، رأيته بنسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد، حتى قال بعض العارفين هناك: أنها كتبت في زمن

(١٢٢) رسالته المعنونة: {الانتصار لوالدي النبي المختار. .

(١٢٣) {في النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية (ص:١٣)} .

العباسيين، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها (٢٢٠) من قسم المجاميع بتلك المكتبة، فمن أراد أن يرىٰ هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه، فعليه بتلك المكتبة، وهو يَجدها هناك بهذا النص الذي نقلناه هناك .

وهبي سليمان غاوجي:

نقل في تعليقه علىٰ شرح الفقه الأكبر تراجع العلامة علي القاريء عن قوله بأن والدا النبي ﷺ ماتا علىٰ الكفر حيث قال (ص: ١٨): كان علي القاري رحمه الله تعالىٰ رأىٰ فترة أن والدي رسول الله ﷺ في النار ، وكتب في هذا رسالة ، لكنه رجع عن ذلك والحمد لله كما نجده في شرحه للشفاء للقاضي عياض ، الذي انتهىٰ منه سنة (١٠١١)هـ، أي قبل وفاته بثلاث سنوات.

فتوى دار الإفتاء المصرية:

رقم الفتوىٰ: (٣٩٩١) تاريخ: ١٩/ ١١/ ٢٠١٤م

القول بنجاة أبوَي النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم هو القول الحق الذي استقرت عليه كلمة المذاهب الإسلامية المتبوعة، وهو قول المحققين من علماء المسلمين سلفًا وخلفًا، وهو الذي انعقدت عليه كلمة علماء الأزهر الشريف عبر العصور، وعليه الفتوىٰ بدار الإفتاء المصرية، كما حققه فضيلة مفتي الديار المصرية الأسبق العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي، والتي ذكر فيها أن مَن زعم أن أبوَي المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ليسا مِن أهل الإيمان: قد أخطأ خطأً بيِّنًا يأثم ويدخل به فيمن آذىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ولكن لا يُحكَم عليه بالكفر؛ لأن المسألة ليست من

ضروريات الدِّين التي يجب على المكلَّف تفصيلها. هذا هو الحق الذي تقتضيه النصوص وعليه المحققون من العلماء اهـ.

وقد سلك علماء الأمة في إثبات هذا القول عدة طرق؛ أهمها: أن موتهما كان قبل البعثة، ومَن مات ولم تبلغه الدعوة كان ناجيًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء: ١٥}، وأنهما كانا على الحَنِيفِيَّةِ السمحة؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] فوجب ألَّا يكون أحدٌ مِن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم مشركًا، وأن الله تعالى أحياهما لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فآمَنَا به، واحتجوا لذلك بأحاديث ترتقي بمجموعها إلى الحسن.

أما حديث: «إن أبي وأباك في النار» فقد حكم عليه جماعة من النقاد بالشذوذ، أو أن الراوي رواه بالمعنى فخلط فيه، والصواب رواية: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار. فلْيتقِ اللهَ أولئك الأدعياء ولْيخشَوا لَعْنَة وإيذاءَ حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم المستوجب لِلَعْنِ فاعله، ولْيعلموا أنه لا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد مِن الأدب مع مقام حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المصنفات في نجاة الأبوين الكريمين

ألَّف كثير من العلماء مؤلفات في نجاتهما قديماً وحديثاً، وقد جمعت منها ما يربو على أربعين مصنفاً، أثبتوا فيها نجاتهما بالأدلة القطعية، وهذه المصنفات تضاف لما أوردته من أقوال منثورة في مصنفات العلماء، فيكون الأمر شبه مجمع عليه، إن لم نقل إجماعا كاملا، ولا يضر الإجماعَ شذوذُ عدد بسيط من العلماء الذين قالوا بضد ذلك، لكونه من قبيل الشاذ، والشاذ لا حكم له، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نكون مع الجماعة، ومع

السواد الأعظم، وأنه من شذ فإنما يشذ في النار. وهذه قائمة بما استطعت الوصول إليه من المؤلفات التي صنفت في نجاتهما:

١. ـ التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفىٰ في الجنة .

٢. ـ الدرج المنيفة في الآباء الشريفة .

٣. ـ السبل الجلية في الآباء العلية .

٤. ـ المقامة السندسية في النسبة الشريفة المصطفوية . هذه الأربعة لجلال الدين السيوطي .

٥. ـ جزء في إسلام الوالدين : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفىٰ سنة (٩٠٢) هـ .

٦. ـ رسالة في أبوي النبي ﷺ لعلي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني الشماخي ، المتوفىٰ سنة (١١٩٩) هـ .

٧. ـ رسالة في الرد علىٰ ملا علي القاري : لمحيي الدين عبد القادر بن محمد بن يحيىٰ بن مكرم بن محب الدين الطبري ، المتوفىٰ سنة (١٠٣٣) هـ .

٨. ـ رسالة في إيمان ابوي النبي ﷺ لأحمد بن سليمان شمس الدين ، المعروف بابن كمال باشا ، المتوفىٰ سنة (٩٤٠) هـ .

٩. آباء النبي ﷺ لابن عمار .

١٠. آباء النبي ﷺ لمحمد بن عبدالدائم البرماوي (ت٨٣١هـ) .

١١. إتحاف الماجدين في سير السَّاجِدين، عبد الله محمد عكور .

١٢. أخبار آباء النبي ﷺ للكوفي ذريعة .

١٣. إرشاد الغبي في إسلام آباء النبي ﷺ تأليف أحد علماء الهند كما في كشف الظنون .

١٤. إسلام أبوي النبي ﷺ لشمس الدين محمد بن شهاب الدين احمد بن محمد بن علي بن يزسف الحصكفي ، المعروف بابن الملا ، المتوفى سنة (١٠١٠)هـ

١٥. أسماء أجداد النبي ﷺ للبرماوي .

١٦. أسنى المطالب في نجاة سيدنا أبي طالب زيني دحلان .

١٧. الإصطفا في إيمان أبوي سيدنا المصطفى ﷺ البوطي .

١٨. إعلام الجهول بإيمان والدي الرسول، الدكتور علي المقدادي .

١٩. أم النبي ﷺ ، د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء) .

٢٠. أمهات النبي ﷺ لابن المديني .

٢١. أمهات النبي ﷺ لأبي جعفر محمد بن حبيب .

٢٢. أمهات النبي ﷺ للمدائني .

٢٣. أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى، محمد بن القاسم بن يعقوب الأماسي (ت:٩٤٠) .

٢٤. الانتصار لوالدي النبي المختار، محمد مرتضى بن محمد الزبيدي الحسيني .

٢٥. الأنوار النبوية في آباء خير البرية ﷺ للرفيعي الأندلسي .

٢٦. إيجاز الكلام في والدي النبي ﷺ لمحمد بن محمد التبريزي .

٢٧. بسط اليدين لإكرام الأبوين، محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي (ت: ١٢٣٨) .

٢٨. بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفىٰ وعمه أبي طالب للأزهري اللاذقي

٢٩. بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام لإدريس بن محفوظ.

٣٠. تأديب المتمردين في حق الأبوين، عبد الأحد بن مصطفىٰ السيواسي (ت ١٠٦١) .

٣١. تأكيد الأدلة علىٰ نجاة والدي النبي من النار محمد نور سويد الحلبي.

٣٢. تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفىٰ، أحمد بن عمر الديربي الغنيمي الأزهري الشافعي (ت: ١١٥١).

٣٣. تحقيق النصرة بإيمان أهل الفترة، حسن بن علي بن يحيىٰ العجيمي المكي (ت: ١١١٣).

٣٤. تحقيق آمال الداجين في أن والدي المصطفىٰ بفضل الله في الدارين من الناجين، علي بن محمد .

٣٥. تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفىٰ ﷺ من الناجين ، لابن الجزار .

٣٦. التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفىٰ ﷺ في الجنة للإمام السيوطي .

٣٧. تكحيل العين بأدلة نجاة الأبوين، عبد الله محمد عكور .

٣٨. تنبيه العقول في نجاة آباء سيدنا الرسول ﷺ الصفوي .

٣٩. تنبيه الغفول في إثبات إيمان آباء الرسول ﷺ ، علي الكوباموي .

٤٠. تنزيه الكون عن إسلام فرعون، زين العابدين محمد العمري، ألفها سنة (٩٦٥) هـ. نص فيها علي إيمان أبوي النبي ﷺ.

٤١. الجوهرة المضية في حق أبوي خير البرية، صالح بن محمد تمرتاشي الغزي (ت: ١٠٥٥) .

٤٢. حديقة الصفا في والدي المصطفىٰ ﷺ للإمام السيد مرتضي الزبيدي

٤٣. خلاصة الوفا في طهارة أصول المصطفىٰ، محمد يحيىٰ بن محمد المختار بن الطالب الشنقيطي الولاتي (ت: ١٣٣٠).

٤٤. الدر اليتيم في إيمان آباء النبي الكريم ، علي أنور الكاكوروي (ت:١٣٢٤) .

٤٥. الدُّرُج المنيفة في الآباء الشريفة للسيوطي .

٤٦. ذخائر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين ﷺ للأسبيري.

٤٧. الرد علىٰ من اقتحم القدح في الأبوين المكرمين، حسن بن عبد الله بن محمد البخشي الحلبي (ت: ١١٩٠).

٤٨. الرسالة البيانية في حق أبوي النبي ﷺ لمحمد بن محمد بن الجزري (ت:٨٣٣هـ).

٤٩. رسالة في أبوي النبي ﷺ أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت:٩٤٠)

٥٠. رسالة في أبوي النبي ﷺ عبد القادر بن محمد الطبري المكي (ت:١٠٣٣).

٥١. رسالة في أبوي النبي ﷺ لزين الدين محمد شاه بن محمد ، المعروف بزين جلبي الفناري ، المتوفى سنة (٩٢٦) هـ .

٥٢. رسالة في أبوي النبي ﷺ للفناري .

٥٣. رسالة في أبوي النبي، أحمد بن سليمان بن كمال باشا(ت ٩٤٠).

٥٤. رسالة في أبويه ﷺ ابن الجزري .

٥٥. رسالة في إسلام أبوي رسول الله ﷺ ابن الملا شمس الدين الحصكفي الأصل الحلبي الشافعي(ت: ١٠١٠).

٥٦. رسالة في إيمان أبوي النبي ﷺ أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت: ١١٩٩).

٥٧. رسالة في فضل أبويه ﷺ علي الطاغستاني .

٥٨. رسالة في نجاة أبوي الرسول، علي بن صادق بن محمد الداغستاني ثم الدمشقي (ت: ١١٩٩) .

٥٩. رسالة في نجاة أبوي النبي وكونهما من أهل الفترة، علي ضضطلي .

٦٠. رسالة في نجاة الوالدين المكرمين لسيد البشر، محمد بن يوسف بن يعقوب الإسبري الحلبي (ت: ١١٩٤).

٦١. رسالة موجزة في حق أبوي النبي، سليمان بن عبد الرحمن مستقيم زاده الحنفي (ت: ١٢٠٢) .

٦٢. رفع المِنّ عن حديث إحياء الوالدين الكريمين، عبد الله محمد عكور .

٦٣. الرياض الندية في الآباء العلية، عبد الله محمد عكور .

٦٤. السبل الجلية في الآباء العلية للسيوطي .

٦٥. سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام ﷺ عز الدين يوسف .

٦٦. سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام، محمد بن عمر بالي المدني (ت بعد: ١٢٨٥).

٦٧. سبل النجاة في نجاة أبوي الرسول ﷺ .

٦٨. سِداد الدين في اثبات النجاة للوالدين : لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي الكردي ، المتوفى سنة ١١٠٣ هـ .

٦٩. السرور والفرج في حياة إيمان والدي الرسول محمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي(ت ١١٥٠) .

٧٠. سعادة الدارين بنجاة الوالدين، محمد علي بن حسين المالكي المكي (ت: ١٣٦٧).

٧١. سماء الدين في نجاة الوالدين عبد الرسول البرزنجي .

٧٢. سيدنا عبدالله أبو النبي ﷺ محمد فوزي حمزة .

٧٣. السيف المسلول علىٰ الزندي شاتم الرسول ﷺ محي الدين أخوين .

٧٤. السيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرسول ﷺ لأحمد الشهرزوري

٧٥. السيف المسلول في القطع بنجاة أصول الرسول، أحمد فايز بن محمود البرزنجي(ت: ١٣٣٧).

٧٦. شرح السرور والفرج في أبوي النبي ، محمد بن ابي بكرالمرعشي ، المعروف بسجاقلي زاده الصوف بالحنفي ، المتوفىٰ سنة (١١٥٠) هـ .

٧٧. شرح الوفا لوالدي المصطفىٰ، للسيد احمد السايح الحسيني.

٧٨. صفع القفىٰ لمن كفَّر والدي المصطفىٰ وافترىٰ علىٰ الصوفية أرباب الصفا : لأحمد شهاب الدين الزوي الطرابلسي القادري الحسني .

٧٩. العقد المنظم في أمهات النبي، محمد مرتضىٰ بن محمد الزبيدي الحسيني .

٨٠. فتح العليم في نجاة أبوي سيدنا النبي الكريم ﷺ، عبد العزيز بن عرفة .

٨١. الفرح والسرور في إيمان والدي الرسول، محمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي(ت: ١١٥٠).

٨٢. قرة العين في إحياء الوالدين، حسين بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالداديخي(ت: ١١٧١).

٨٣. القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار ﷺ للديربي .

٨٤. القول المسدد في نجاة والدي محمد، محمد بن عبد الرحمن الأهدل الحسيني (ت: ١٢٥٨) .

٨٥. كشف الخفا في مصير والدي المصطفىٰ، الدكتور علي المقدادي.

٨٦. الكلام المقبول في إسلام آباء الرسول، وكيل السكندربوري .

٨٧. كنىٰ آباء الرسول ﷺ لابن الكلبي .

٨٨. مباهج السنة في كون أبوي النبي ﷺ في الجنة لابن طولون .

٨٩. مرشد الهدىٰ في نجاة أبوي النبي ، إبراهيم بن مصطفىٰ بن محمد الفرضي ، الشهير بوحدي الرومي ، المتوفىٰ سنة (١١٢٦) هـ .

٩٠. مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ، جلال الدين السيوطي .

٩١. مطلع النيرين في إثبات النجاة لوالدي سيد الكونين، أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني الدمشقي (ت: ١١٧٢).

٩٢. المقامة السندسية في الآباء الشريفة المصطفوية، للإمام السيوطي .

٩٣. مناقب السيدة آمنة، يحيىٰ بن محمد مؤذن المكي (ت: ١٢٦٠) إمام الحرم المكي الشريف .

٩٤. مناقب سيدنا عبد الله، والد سيدنا رسول الله، داود الموسوي الشافعي .

٩٥. منحة البارئ في إصلاح زلة القارئ، حسن بن علي بن يحيى العجيمي المكي (ت ١١١٣) .

٩٦. منهاج الوفا في نجاة والدي المصطفى، الدكتور محمود الزين.

٩٧. النبي ﷺ ووالده الكريمان للشيخ الدكتور : محمد عبده يماني .

٩٨. نخبة الأفكار في تنجية والدي المختار ﷺ لمحمد بن سيد إسماعيل الحسني .

٩٩. نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للإمام السيوطي،

١٠٠. هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام للبديعي .

١٠١. الوفا لوالدي المصطفى، وهي قصيدة بلغت مائة بيت للدكتور محمد سليمان فرج .

هذه مصنفات زادت على المائة، وهو ما وصلت إليه أيدينا، صنفها علماء أفاضل محبون لجناب النبوة، موقرين لآل بيته، نصت على أن الوالدين الكريمين في الدرجات العلا في الجنة، وقد نقلت عبارت أخرى لأكثر من ثلاثين عالما، فيشكل هذا الكمُّ الهائل من العلماء إجماعاً على هذه المسألة، وقد خالفهم أفراد، منهم من رجع عن قوله، ومنهم تهيب الرد على صحيح مسلم، فلم يرد الحديث، فلا يشكلون إلا أفرادا لا

يزيدون على أصابع اليد الواحدة، وقولهم هذا من قبيل الشاذ، أي لا حكم له، وسأفند أقوالهم فيما يأتي .

الرَّوضَةُ الرابعة

إزالة الجذوع الكبار المانعة من الإبصار

وهذه الجذوع التي نبهت عليها في المقدمة، شبهات أوردها بعضهم لينصر مذهبه للغض من والدي المصطفى ﷺ ، وهي:

الجذع الأول قولهم: أن الإجماع منعقد على كفر الوالدين الكريمين وبيان ذلك.

الجواب: كلام ينقصه الدليل، بل هو تدليس وخرص بالظن، ليوهم السامعين أن الأمة مجمعة على هذه المسألة، ولكن الأمر عكس ما فاه به، فإن مذهب هؤلاء استحلال الكذب لنصرة المذهب، وهو مشهور عندهم، فقد أوردت في الرَّوضَةُ السابقة أقوالاً لما يقرب من ثلاثين عالما، وفتوى علماء مصر والأزهر، وما يزيد على مائة مصنف في نجاة الوالدين، وباقي العلماء الذين لم نذكرهم مجمعون على ذلك إجماعاً سكوتيا، منهم علماء آل البيت، والسادة الصوفية الذين يشكلون الشريحة الكبرى من الأمة .

وقد أورد المنتقد أسماء لعشرة من العلماء استشهد بأقوالهم، وسأبينها تالياً:

(١) **البيهقي**: استشهد الناصبي على قوله بما جاء في دلائل النبوة، قال بعد تخريجه لحديث «أبي وأباك في النار » : وكيف لا يكون أبواه وجدُّه بهذه الصفة في الآخرة ، وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا، ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام " انتهى.

الجواب: إن البيهقي أورد حديثاً آخر بسند صحيح بعد إيراده لحديث مسلم فقال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَكَانَ وَكَانَ، فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي النَّارِ، قَالَ: فَكَأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ وَجِدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله فَأَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ. قَالَ: فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، فَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ الله، ﷺ، تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ .

وهذه اللفظة «حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار» هي اللفظة التي اعتمدها المحدثون في هذه المسألة، لأنها لا تتعارض مع المحكم من القرآن الكريم، أما اللفظ الذي أورده مسلم فشاذ، عارض الروايات الصحيحة الأخرىٰ، كما عارض المحكم من القرآن الكريم، قال بذلك جمع من المحدثين، فالبيهقي أورد روايتين صحيحتين، كلاهما تعارض الأخرىٰ، فأي الروايتين اعتمد؟ فكلامه هذا يحتمل طرفي الاستدلال، والدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال .

وثمة شيء آخر وهو: أن حديث مسلم لا يدل دلالة قطعية علىٰ والدي النبي ﷺ بل دلالته ظنية، لأنه خاضع للتأويل أو الرد لمخالفته القرآن، والحديث الصحيح الذي أورده، فإما أن يُرد، وإما أن يأول بالعم، فالعرب تطلق لفظ الأب علىٰ العم، وهو وارد في القرآن والسنة ولغة العرب .

وقال في الدلائل: وكفرُهم لا يقدح في نسب رسول الله ﷺ لأن أنكحة الكفار صحيحة ، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهن ؛ إذ كان مثله يجوز في الإسلام وبالله التوفيق "انتهىٰ

الجواب: بل يقدح في ذلك، وقول البيهقي هذا فيه رد على رسول الله ﷺ بأنه خيار من خيار، وقوله: فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا . بل رد على الله تعالى قوله: ﴿وتقلبك في السَّاجِدين﴾، وهو الموحدون، والخيرية تتنافي مع الشرك، فكيف يكون ﷺ خيار من خيار ووالده مشرك؟ .

فأيهم أولى بالتصديق: الله ورسوله، أم البيهقي؟ سيما وأنه لم يورد الدليل قطعي الدلالة على صحة ما يقول .

(٢) الإمام النووي رحمه الله تعالى :

قال المعترض: وقد بوَّب في شرحه لصحيح مسلم عند حديث «أبي وأباك في النار بقوله: (باب) بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ، ولا تناله شفاعته ، ولا تنفعه قرابة المقربين: وقال في شرحه: " وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة ؛ فإن الدعوة كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم " انتهى.

الجواب: ليس فيه حجة بعد أن أنزل الله تعالى على قلب رسوله قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ {يس: ٦}، وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ {القصص: ٤٦}، وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣]، فالآيات صريحة بأن أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة النبي ﷺ لم يُرسل إليهم رسول قبل سيدنا محمد ﷺ ، لذلك هم غير مؤاخذين ولا مطالبين بشريعة إبراهيم وعيسى عليهما السلام، لكونهما لم يرسلا إلى العرب،

والعرب غير مكلفين باتباعهما، إذ إن كل رسول أرسل إلى قومه خاصة دون غيرهم، إلا سيدنا رسول حيث بُعث إلى الناس كافة، فهذا الاستشهاد مناهض لما جاء في التنزيل، والذي عليه إجماع الأمة .

وقال عند شرحه لحديث زيارة النبي ﷺ قبر والدته: فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة ؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى ، وقد قال الله تعالى: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ ، وفيه النهي عن الاستغفار للكفار .

الجواب: إذن الله تعالى لرسوله بزيارة قبر والدته دليل على إسلامها، أو بمعنى آخر: دليل على أنها موحدة، على دين إبراهيم عليه السلام، لأن الله تعالى نهى نبيه عن زيارة قبور المشركين، فقد كان ﷺ يزور البقيع، وشهداء أحد، وزيارة قبر والدته دليل على أنها ملحقة بهم ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، فلو كانت كما يدعون لما زارها النبي ﷺ .

(٣) ابن كثير، أورد له قولاً نقله كلام البيهقي مقراً له .

الجواب: نقل المعترض قول ابن كثير مبتوراً، والصواب: أن ابن كثير قال بنجاة أهل الفترة، فقد قال في تفسيره للآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا﴾: إِخْبَارٌ عَنْ عَدْلِهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَداً إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ [الْمُلْكِ: ٨، ٩] ، وَكَذَا قَوْلُهُ [تَعَالَى]: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧١] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُدْخِلُ أَحَدًا النَّارَ إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ [١٢٤].

ثم أورد بعد ذلك أحاديث الامتحان يوم القيامة، وضعف منها طرقا، وخلاصة كلامه: أنه لا عذاب إلا بعد إنذار، وقد يمتحن الله أهل الفترة يوم القيامة، بأن يصور لهم نارا، ثم يرسل إليهم ملكا يأمرهم أن يدخلوها، فمن بادر لدخولها يدخل الجنة، وأكثر العلماء على أن الله إذا امتحن الوالدين يكرمهما بالطاعة إكراماً لنبيه ﷺ ، لذلك نجد ابن كثير لا يجزم بتعذيب الوالدين، فيكون كلام المنتقد منقوضا بما أوردنا من كلام ابن كثير .

(٤) أورد المعترض فيما أورد الإمام مسلم، حيث استشهد بإيراده هذا الحديث في صحيحه، وابن حبان، وأبو داود .

الجواب: هؤلاء الذين ذكرهم هم علماء حديث، وراوي الحديث ينقل ما سمع، فلا ينقل حكماً فقهياً، وعلى صحة كلامه، فإنه مما قرره العلماء عند إيراد الأدلة يقدم الدليل القطعي على غيره، والدليل القطعي هو ما أوردنا من آيات القرآن التي نصت على أنه

[١٢٤] تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٥٣) .

لا تكليف على أهل الفترة، ولا عذاب عليهم، فقد شملتهم الرحمة الإلهية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فلا كلام بعد كلام الله .

(٥) مُلا علي القاري:

آخر ما أورده المعترض كلام ملا علي القاري، حيث نقل كلامه في رسالته التي خصصها في أبوي النبي ﷺ .

الجواب: تعرض علي القاري لهجمة من العلماء بسبب ما خطته يده في هذه الرسالة، ثم إنه تراجع عن قوله هذا بما كتبه في شرحه لكتاب الشفا، وأنه قال بإحياء الوالدين تكرمة الله للنبي ﷺ حتى آمنا به، وقد نقلت تفصيل هذا في الباب السابق تحت عنوان: التزوير على أبي حنيفة .

وخلاصة الرد على الجذع الأول: أنه لا دليل على ما ذهب إليه المعترض، لأن بعض العلماء الذين ذكرهم رجع عن قوله، وبعضهم عارض القرآن، فلا عبرة بقول من خالف كتاب الله تعالى، سيما وهم قليل .

الجذع الثاني: استدلالكم بأدلة ظنية الدلالة والثبوت على كفر الوالدين .

ومن هذه الأدلة وأقواها حديث مسلم «أبي وأباك في النار»، وحديث زيارة النبي ﷺ لقبر أمه، حيث أذن الله له بزيارتها، ولم يأذن له بالاستغفار لها .

الجواب: إن هذه الرواية بالمعنى الذي يفهمه المعترض مردودة لعدة نقاط:

(الأولى): إن لفظ «إن أبـي وأباك في النار» معارض للرواية الصحيحة والتي رواها غير واحد « حيثما مررت بقـبر مشرك فبشره بالنار»، قال الصحابي الذي سأل النبي ﷺ وهو سـبب ورود هذا الحديث: لقد كلفني رسـول الله ﷺ تعباً، حيث ما مررت

بقبر مشرك أبشره بالنار.

فهذه اللفظة الصحيحة التي قالها النبي ﷺ، أما اللفظ الذي جاء عند مسلم فقد تكلم العلماء فيها، وخلاصة قولهم كما نقل ذلك السيوطي في مسالك الحنفا:

[**الجواب**: أن هذه اللفظة وهي قوله: «إن أبي وأباك في النار» لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وهي الطريق التي رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر «إن أبي وأباك في النار» ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»: وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر البتة، وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمرا أثبت من حماد، فإن حماداً تُكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئا وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من طريق سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ :أين أبي؟ قال: «في النار» قال: فأين أبوك؟ قال: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» ؟ وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره . انتهى كلام السيوطي.

وحتى لا يقال أنه ردّ حديثاً في صحيح مسلم أقول: إن حديث الآحاد إذا عارض القرآن إما أن يأوَّل، أو يرد، والتأويل في هذه الحديث يكون في لفظتي؛ الأب، والنار.

أما تأويل الأب بالعم ، فقد يكون قصد النبي ﷺ من الأب هو عمه أبو لهب، لأن العرب كانت تدعو العم أبا، وقد جاءت الأدلة القطعية على أن أبا لهب في النار ، وتأويل الأب بالعم مشهور عند العرب، فقد سأل بحيرا الراهب أبا طالب في سفره الى الشام عن النبي ﷺ وكان حينها غلاما: ما هذا الغلام منك؟ قال: إنه ابني، قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي ...الخ وفي الحديث: «عم الرجل صنو أبيه» [١٢٥] .

وفي القرآن الكريم من قول سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة:١٣٣} فإبراهيم جده وليس أباه، وإسماعيل هو عمه، إذ إن إسحاق هو أخ لإسماعيل، ويعقوب هو ابن إسحاق، فسمى العم أبا، وعليه يكون تأويل : إن أبي وأباك في النار، أي إن عمي أبا لهب وأباك في النار، وبهذا يستقيم المعنى، ونأخذ بالروايتين جميعا .

وأما تأويل لفظ النار، فقد يكون على حد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ {مريم:٧١} فأفادت هذه الآية أن الخلق كلهم سيردون النار، فمن كان من أهل الجنة سيجوز، ومن كان من أهل النار سيقع فيها، وبهذا يكون معنى: «إن أبي وأباك في النار» أي الورود ثم الجواز. خاصة أنه لا عقوبة إلا بتحريم، ولا تحريم إلا بنص، وأهل

[١٢٥] رواه مسلم في صحيحه (٢٣٢٤) .

الفترة لَم يكلفوا بشرع، لذلك لا عقوبة عليهم، فيكون دخولهم النار هو ورودها ثم الصدور .

فتأويل الحديث يبقيه على أصله من حيث الثبوت، لكن يتغير المعنى حسب ما ورد من نصوص أخر أقوى منه دلالة، فيُحمل المعنى على غير ظاهر اللفظ، وبمجموع هذه الأحكام يبطل الاحتجاج بهذه الرواية على أن الوالدين الكريمين في النار .

الثانية:

ما رواه مسلم في صحيحه (٢٣٠٤) عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» . قالوا: ومنع النبي ﷺ من الاستغفار لأمه دليل موتها كافرة .

الجواب:

لا دليل في هذا الحديث على تعذيب السيدة الوالدة، فهو نوع من تفسير النصوص على وفق الهوى، وهو معارض للنص المحكم من القرآن الكريم .

إن السيدة الوالدة كانت على ملة التوحيد، لم يعرف عنها أنها سجدت لصنم، فهي مبرأة من العذاب لأسباب كثيرة جعلتها كذلك، وهذا تلخيص لأهمها:

الأول: إنه لا دليل في هذا الحديث على تعذيبها، ومن قال بذلك فقد تقوَّل على النبي ﷺ بما لم يقله، ورمى السيدة الوالدة بما هي منه براء .

الثاني: إن الاستغفار من الذنب هو نوع مؤاخذة للعبد على ذنب اقترفه، فوجب الاستغفار له، أو منه، ومعلوم أن أهل الفترة غير مكلفين شرعا، حيث قرر العلماء أن

من شروط التكليف الشرعي بلوغ الدعوة، وأهل الفترة لَمْ تبلغهم دعوة الرسل، فانتفى عنهم التكليف، لسقوط شرط من شروطه، وعليه فلا ذنب لهم ليستغفروا منه، أو ليستغفر لهم غيرهم . وبناء على هذا يعتبر الاستغفار لذنب لا وجود له ضرب من اللغو نزه الله تعالى نبيه عنه، فمنعه الاستغفار .

ثم علة أخرى في الحديث وهي: ضعف الرواية، ففيها يزيد بن كيسان، قال العقيلي [١٢٦]: قال يحيى القطان : هو صالح وسط، ليس ممن يعتمد عليه.

قال ابن حبان [١٢٧]: كان يخطىء ويخالف، لَمْ يفحش خطؤه حتى يعدل به عن سبيل العدول، ولا أتى من الخلاف بما ينكره القلوب، فهو مقبول الرواية إلا ما يعلم أنه أخطأ فيه، فحينئذ يُترك خطؤه كما يترك خطؤ غيره من الثقات .

تبين لنا من هذه الأمور أن هذه الرواية منكرة شاذة ضعيفة، لا تقوم بها حجة على كفر الوالدين الكريمين، وأنهما من أصحاب النار، والدليل إذا دخله الاحتمال بطل به الاستدلال .

الثالثة:

ما ورد في بعض الروايات من أن السبب في نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ {التوبة:١١٤} ، أن النبي ﷺ أراد أن يستغفر لأمه فمنع من ذلك الخ

(١٢٦) في {الضعفاء الكبير (٩/ ٢٥٦)} .

(١٢٧) في {الثقات (٧/ ٦٢٨)} .

الجواب: لا دليل في هذا الحديث على تعذيب السيدة الوالدة لاضطراب مناسبة وروده على أقوال:

الأول: أنها نزلت في رجل استغفر لأبويه المشركين، روى النسائي[١٢٨] عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ فَقُلْتُ: أَتَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ؟ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾.

الثاني: أنها نزلت في أم النبي ﷺ، روى الحافظ عبد الرزاق عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّيْنَا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى قَبْرٍ مِنْهَا، فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاكِيًا، فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْبَلَ فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: مَا الَّذِي أَبْكَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَبْكَانَا وَأَفْزَعَنَا، فَأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيْنَا فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ: «أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي عِنْدَهُ قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَأُنْزِلَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ {التوبة:١١٣} الْآيَةَ، ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْوَلَدُ لِلْوَالِدِ مِنَ الرَّأْفَةِ، فَذَلِكَ أَبْكَانِي[١٢٩]»[١٢٩].

(١٢٨) {السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٦٦، رقم:٢١٧٤)، مسند أبي داود الطيالسي (١/ ١١٩)}.

(١٢٩) { مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٧٢، رقم:٦٧١٤)}.

الثالث: أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ لأن النبي ﷺأراد أن يستغفر له بعد موته، فنهاه الله عن ذلك، فروىٰ البيهقي قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «أَيْ عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ» فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَيْ أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَكَانَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُ بِهِ أَنْ قَالَ: عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» . قَالَ فَنَزَلَتْ: [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا] قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ قَالَ: وَنَزَلَتِ: [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ] [القصص: ٥٦] الْآيَةَ ((١٣٠))

الرابع: أنها نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنُهوا عن ذلك . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، فَكَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَمْسَكُوا عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِأَمْوَاتِهِمْ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْأَحْيَاءِ حَتَّىٰ يَمُوتُوا، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٣١) .

الخامس: أن الاستغفار هنا بمعنىٰ الصلاة ، ومنهم من فسره بالدعاء (١٣٢).

((١٣٠)) صحيح البخاري (٢/ ٩٥) .

(١٣١) شرح مشكل الآثار (٦/ ٢٨٣)

(١٣٢) تفسير الطبري (٥٦٦١/١١)، أسباب النزول للنيسابوري، (ص:١٧٧١٧٨)، تفسير ابن كثير، (ص:٨٢٢٨٢٤)، الدر المنثور (٢٧١٢٧٥/٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٣١٨٩٥/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢٢٧٤/٨) .

قلت: تعددت روايات الحديث إلى أكثر من قول، وأكثر من مناسبة، وتعدد الروايات توجب الظن، وفي هذه الحالة لا بد من مرجح على أن المقصود في هذه الرواية أنها والدته ﷺ كما أن بعض المحدثين فسر الاستغفار هنا بالصلاة، ومنهم من فسره بالدعاء، وكل ذلك من موجبات صرف الحديث عن كفر السيدة الوالدة.

وأما حديث زيارة النبي ﷺ لقبر أمه: فليس فيه دليل على عذابها، ولا يوجد في متن الحديث أن سبب بكائه ﷺ هو تعذيبها، وإنما هو اجتهاد في تفسير الحديث، ونحن لنا اجتهادنا في تفسيره أيضاً وهو: أنه ﷺ بكى على ابنه إبراهيم، عندما توفي وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» [١٣٣] .

فهذا غاية ما استدل به النواصب على ما ذهبوا إليه، وألفوا بشأنه المؤلفات، وعقدوا لذلك المؤتمرات والندوات، وأدلتهم هذه هي بين ثلاثة :

إما معارض للقرآن، فيكون شاذاً، والشاذ لا حكم له .

أو طرقه التأويل، فيكون بين طرفي الاحتمال، والدليل إذا طرقه الاحتمال، بطل به الاستدلال .

أو أنهم فسروا الدليل حسبما يرون ما به نصرة مذهبهم .

الجذع الثالث: قولكم بكفر الوالدين وعبادتهم أصنام قومهم .

قال المعترض: إن والدي الرسول ﷺ وجـــدَّه هم عبدة أوثان، وبالتالي يستحقون دخول النار .

[١٣٣] رواه البخاري (٣/ ١٧٣) ومسلم (١٨٠٨/٤) .

الجواب: هذا كذب وتدليس، فقد أوردنا عن كتب السير التي ترجمت لآباء النبي ﷺ إلى عدنان أنهم كانوا على الحنيفية، ولم يثبت عن واحد منهم أنه سجد لصنم، ومن قال بغير هذا فعليه الدليل، وكما قيل: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل، أي ينبغي أن يكون النقل صحيحا، مستنداً إلى دليل شرعي، وما هو دليلهم على ذلك؟

الجذع الرابع: أذيتكم لله ورسوله بنسبة الوالدين الكريمين للشرك والوثنية .

إن الوهابية ومن قال بقولهم هذا، لم يراعوا الأدب مع رسول الله ﷺ ، والغريب أنهم يقولون: "إن القول بكفر الوالدين ليس فيه غض لمنصب النبوة " ، ونحن نقول بذلك، لكن فيه إساءة أدب، وأذية للنبي ﷺ .

عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: جَاءَ الْعَبَّاسُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُغْضَبٌ، فَقَالَ: «مَا أَتَى بِكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ؟ قَالَ: «مَا لَكَ وَلَهُمْ حَتَّى أَتَى بِكَ؟» قَالَ: يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِوُجُوهٍ مُشْرِقَةٍ، فَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَغَضِبَ حَتَّى اسْتَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ» ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي الْعَبَّاسِ؟ فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» [١٣٤] .

وروى ابن أبي عاصم قال: قَدِمَتْ دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً فَنَزَلَتْ دَارَ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّى الزُّرَقِيِّ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَلَسْنَ إِلَيْهَا مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: أَنْتِ ابْنَةُ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي

[١٣٤] المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٢٨٥، رقم:٦٧٤) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٣٧٥، رقم:٥٤٣٢) .

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] مَا يُغْنِي عَنْكِ مُهَاجَرُكِ. فَأَتَتْ دُرَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا فَسَكَّنَهَا وَقَالَ: «اجْلِسِي» ثُمَّ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، وَجَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: >يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَالِي أُوذَىٰ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتُنَالُ بِقَرَابَتِي حَتَّىٰ حَا وَحَكَمُ وَصُدَاءُ وَسَلْهَبُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ< (١٣٥) .

قلت: جاء في الحديث الأول أن بعض الصحابة كان إذا لقي العباس عم النبي ﷺ لم يبتسم في وجهه، فسبب ذلك أذىً للنبي ﷺ وغضِبَ حَتَّىٰ اسْتَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، مع أنهم لم يتكلموا بحق العباس، ومع هذا كله اعتبره النبي ﷺ أذىٰ له فقال: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي الْعَبَّاسِ؟ فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» .

وأما في الحديث الثاني، فقد تكلموا بحق أبي لهب، الذي نزل بحقه قرآن، ولم يزد كلام الصحابيات علىٰ تلاوة سورة القرآن التي نزلت فيه، ومع هذا كان الكلام سبباً في أذية ابنته الصحابية، وأذية النبي ﷺ فقال: : >يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَالِي أُوذَىٰ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتُنَالُ بِقَرَابَتِي حَتَّىٰ حَا وَحَكَمُ وَصُدَاءُ وَسَلْهَبُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ< .

بعد هذا؛ ألا يكون النيل من والدي النبي ﷺ أذية له؟ خاصة وأن ذلك بدليل ظني، وأي أذىٰ أكبر من تكفيرهم؟ فإنهم علىٰ كل الأحوال ليسوا أسوأ حالاً من أبي لهب، ومع ذلك سبب الكلام أذىٰ له ﷺ .

(١٣٥) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٥/ ٤٧٠) .

إن الله تعالى يغار على رسوله أن ينال منه أحد مهما كانت مرتبته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [الأحزاب: ٥٧].

الجذع الخامس: محاولتكم أن تشيعوا الفتنة في مجتمع الإسلام بما لا فائدة منه.

إن مسألة كفر الوالدين أو إيمانهم ليست مسألة عقدية، يسأل الله عنها عبده في القبر، ولا هي من مسائل العقيدة التي عُلمت من الدين بالضرورة، والكلام فيها خطير، خاصة بين العوام الذين لا يقيمون وزناً لما يقولون، لذلك من الأسلم للدين أن يسكت المسلم عن مثل هذه المسائل، ولا يخوض فيها، فالعالم الذي يتكلم في هذا يكون سبباً لتقليده من الجهال، وعوام الناس، وربما طلبة العلم، فيبوء بإثمه وإثم من اتبعه.

إن الله تعالى مدح أقواماً تأدبوا بأدب الإسلام، وراعوا حرمة النبي ﷺ فخفضوا أصواتهم بحضرته فقال فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، وأدب أقواماً لم يراعوا مثل هذه الآداب، وحذرهم من عدم مراعاة أدب العظماء والأكابر، وأن ذلك محبط للعمل فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، أي إن معاملة المسلم مع النبي ليست كمعاملته مع آحاد المسلمين، وعاب على أقوام أساءوا الأدب مع النبي ﷺ، ووصفهم ببعض صفاتهم بأنهم لا عقل لهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الحجرات: ٤].

إن مجرد الخطاب مع النبي ﷺ له مواصفاته ومقاييسه الربانية، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فليحذر الذين يسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ فيصفون والديه الكريمين بما يؤذيه أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم.

إن الله تعالى خاطب رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ {الفتح:٨}، ثم عدل عن مخاطبته إلى طريقة الالتفات فقال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، فكان الخطاب للمؤمنين، وذلك تفخيم وتعظيم وتوقير للنبي ﷺ، فأدَّب القرآن المؤمنين، بأن يراعوا حرمة رسول الله ﷺ ويعظموه ويوقروه ويعزروه، وبدأ القرآن بهذا التعظيم أولا بطريقة الالتفات، ليعلمنا المزيد من الأدب، والرقي في الأخلاق وكيفية المعاملة مع أهل الله وخاصته.

إن الكفر بالله تعالى أشد من الزنا، فالزنا يبقى معصية يغفرها الله تعالى، ولكن الكفر لا يغفره الله، ورمي مسلم أو مسلمة بهذه المعصية هي من أسباب إشاعة الفاحشة في المجتمع، قد نهى الله عنها قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، فقد توعد الله تعالى من هذا وصفه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وهذا كله فيمن رمى واحداً من عوام المسلمين ذكراً كان أو أنثى، بهذه المعصية،

فكيف بمن يرمي والدي خير خلق الله، وحبيب رب العالمين، بالكفر الذي هو أشد من الزنا، أليس هذا أولى بالعذاب الأيم في الدنيا والآخرة.!

الرَّوضَةُ الخامسة

رفع المين عن حديث إحياء الوالدين

فإنه قد اشتهر عن أبوي سيدنا رسول الله ﷺ إحياؤهما بعد الموت، وإيمانهما برسالته تكرمة الله لرسوله، والعلماء بين مؤيد لهذا الأثر وبين ممانع، والأكثرية منهم مؤيدون لكون إحيائهما ليس بمعجز لقدرة الله تعالى، وأن النبي ﷺ أهل لكل كرامة من ربه تعالى، سيما بعد أن خصه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ {الضُّحى:٥} وأن إحياءهما مما يرضيه ﷺ.

ولَم يمنع هذا الأثر إلا قلة قليلة من العلماء، اعتمدوا على ما رواه مسلم في صحيحه أن أبويه ﷺ في النار، ولَم يبحثوا في سند هذا الحديث ولا في متنه، كونه معارضاً لِما جاء في القرآن الكريم، من أن أهل الفترة غير مؤاخذين بكفرهم لعدم بلوغ الرسالة، وأن الله تعالى لن يعذب أحداً إلا بعد الإعذار.

وقد وجد النواصب في هذا الأثر ذريعة لتكفير أصول النبي ﷺ ولَم يراعوا في ذلك أدباً مع الحضرة الشريفة، زيادة على ما اقترفوه من قبيح القول والاعتقاد، ونسوا أو تناسوا أن علة إرساله ﷺ إنما هي تعظيمه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ {الفتح:٩}، وأن

القول بكفر الوالدين مناهض لهذه العلة، ومخالف للنص القرآني، زيادة على ما فيه من الأذية له ﷺ وأي أذية أكبر من رمي الوالدين الكريمين بالكفر ؟ .

وبناء على هذا سأقوم بجولة قصيرة في هذا الحديث، وأبين درجة صحته من حيث السند، وما قال العلماء فيه من حيث المتن.

الحديث سنداً ومتنا

أولاً: رواية ابن شاهين [١٣٦] :

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش مولي الأنصار قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة قال: حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسي الزهري، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، أن النبي ﷺ نزل الى الحَجون [١٣٧] كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً فقلت: يا رسول الله؛ نزلتَ الى الحَجون كئيباً حزيناً فأقمتَ به ما الله ثم رجعتَ مسرورا، قال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**» .

(١٣٦) [ناسخ الحديث ومنسوخه (ص: ٤٨٩، برقم:٦٥٦)] .

(١٣٧) الحجون: مقبرة أهل مكة، وهي في جهة الشمال الشرقي لمكة على طريق الطائف .

ثانياً: رواية الحافظ الطبري [١٣٨] :

أخبرنا الشيخ الإمام الصالح أبو الحسن علي بن أبي عبدالله بن أبي المقير قراءة عليه بالمسجد الحرام وأنا أسمع سنة ست وثلاثين وستمائة قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر، حدثنا أبو غزية محمد بن يحي الزهري قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً وقال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**» .

ثالثاً: رواية السهيلي [١٣٩] :

روي حديث غريب لعله أن يصح، وجدته بِخط جدي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي رحمه الله بسند فيه مجهولون، ذكر: أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما، والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن

(١٣٨) [خلاصة سير سيد البشر (ص: ٢١)] .

(١٣٩) [الروض الأنف في شرح غريب السير (١/ ٢٩٦)] .

شيء، ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

ثم ساق رواية ابن شاهين والخطيب البغدادي، إلا أنه قال: «فمر على قبر أمه وهو باك حزين مغتم»، وبهذا قد يكون لفظ الحجون من تصرف الرواة في بعض النسخ، والنسخة التي روى السهيلي منها لَم يطرقها التغيير .

رابعاً: رواية الخطيب البغدادي [١٤٠] :

أخبرنا أبو العلاء الواسطي، حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن ربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثنا محمد يحي الزهري أبو غزية، حدثنا عبد الوهاب بن موسى، حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزينٌ مغتم، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ ثم انطفر (وثب) فنزل ثم قال: «يا حميراء استمسكي»، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً ثم إنه عاد إليّ وهو فرح مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتمٌّ فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إلي وأنت مبتسم، فمِمَّ يا رسول الله؟ قال:

«ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردَّها» .

(١٤٠) [السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد؛ (ص:٣٤٤)] .

خامساً: رواية ابن عساكر:

وأورده الحافظ ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب، حدثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك، حدثني محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، حدثني مالك عن أبي الزناد، عن هشام بن، عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمرَّ بي على عقبة الحَجون وهو باكٍ حزينٌ مغتمٌّ فبكيت لبكائه، ثم أنه طفر فنزل وقال: «يا حميراء استمسكي» فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلا ثم عاد إلي وهو فرح متبسم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت وأنت فرح ففيم ذا يا رسول الله؟ قال:

«مررت بقبر أمي آمنة فسألت الله أن يُحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله» .

تخريج الحديث

اختصارً للقارئ ألخص أحوال رجال سند هذا الأثر، ثم أعقب بأقوال العلماء، فأغلب رجاله ثقات، ومنهم حسن الحديث، ولكن العلة في كافة طرقه [أبو غزية] فهذا الراوي دخل في كافة طرق الحديث، وعليه تدور صحة الأثر، وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على ضعفه، وبالتالي فإن كافة طرقه ضعيفة، لم تصل لحد الوضع، ولم ترتق لدرجة الصحة، فهو ضعيف باتفاق المحدثين .

أقوال العلماء في الحديث

قال القرطبي[١٤١]: ولا تعارض والحمد لله، لأن إحياءهما متأخر عن النهي بالاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي الله عنها : أن ذلك كان في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

قلت: التعارض المدفوع هو ما رواه مسلم في صحيحه (٢٣٠٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي» .

قال ابن الـمُنيِّر: قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى بن مريم إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما مُنع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما له فآمنا به وصدقاه وماتا مؤمنين .

قال محمد بن يوسف الصالحي تعقيبا على كلام ابن دحية:

قلت: لو اقتصر أبو الخطاب على الحكم بوضع الحديث فقط وسكت عما ذكره لكان جيدا وتأدباً مع النبي ﷺ في حق أبويه .

وقد تعقبه القرطبي فقال: وفيما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لَم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله تعالى وأكرمه به، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء

(١٤١) [التذكرة (ص: ١٢)] .

قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى ﷺ يُحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى.

وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون مخصوصا ممن مات كافرا [١٤٢].

قال السهيلي: والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم [١٤٣].

قال السيوطي والصالحي وغيرهما: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله: أن النبي ﷺ لَمْ يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً إلى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة لديه، وأزلفه بما خصه به لديه، من كرامة القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه كرامة حصلت له ﷺ بعد أن لَمْ تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث، فلا تعارض [١٤٤].

قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين :

تنـقل أحمدٌ نـوراً مبينا تلألأ في وجوه السَّاجِدينا

[١٤٢] [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢٣)] .

[١٤٣] [الروض الأنف في شرح غريب السير (١/ ٢٩٦)] .

[١٤٤] [العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٦٢)، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (١/ ٢٤٦)، ومسالك الحنفا، والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٤)، وابن سيد الناس في عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ١٧٣)].

تقلب فيهمُ قرناً فقرنا إلى أن جاء خير المرسلينا

قال الحافظ السيوطي: أن الله تعالى أحياهما له ﷺ حتى آمنا به.

وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف .

وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وليس بموضوع، وقد نص ابن الصلاح في علوم الحديث وسائر من تبعه على أن ابن الجوزي تسامح في كتابه الموضوعات فأورد فيه أحاديث وحكم بوضعها وليست بموضوعة بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أو صحيحة.

ووهم ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع، وبين أن منها ما هو ضعيف فقط من غير أن يصل إلى حد الوضع، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو صحيح، وأبلغ من ذلك أن منها حديثا مخرجا في صحيح مسلم، حتى قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: هذه غفلة شديدة من ابن الجوزي حيث حكم على هذا الحديث بالوضع وهو في أحد الصحيحين [١٤٥] . انتهى

ومشى عليه الصلاح الصفدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له فقال:

حبا اللهُ النبيَّ مزيدَ فضلٍ على فضلٍ وكان بـه رؤوفـا
فـأحيا أمَّــه وكــذا أبـاه لإيمـانٍ بــه فضلاً لطيفـا

(١٤٥) [مسالك الحنفا،المسلك الثالث] .

فسلِّم فـالقديمُ بذا قديرٌ وإن كان الحديثُ به ضعيفا

الشيخ حسن بن عمر الشطي[١٤٦] :

أيا من حاز فضلاً فز بوصـل ففيه الخير محفوفـاً بشمل
وألق السمع ميمـوناً بقــول حبا الله النبي مزيد فضـل
على فضـل وكان بـه رؤوفـا
فـدع أبويـه من قـول أبـــاه أولو فضل علا تغنم حباه
فكـم خير جنى حقـاً لبـاه فأحـيا أمــه وكــذا أبـــاه
لإيـمان بـه فضلاً منيـفا
وإن تعجب فلا عجب كبير فقدر المصطفى قدماً جدير
وإيـاك الْجمود فــذا خطـير فسلم فالقديم بــذا قديـر
وإن كان الحديث به ضعيفا

قال العلامة ناصر الدين بن المنيِّر :

قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم إلى أن قال : وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما له فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين، وقال القرطبي : فضائل النبي ﷺ لَم تزل وتتتابع إلى حين مماته [١٤٧] .

(١٤٦) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٢٢٤) .

(١٤٧) المقتفى في شرف المصطفى .

وأخرج ابن عساكر من طريق يحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنية قال : حدثنا نوفل بن الفرات وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز قال : كان رجل من كتاب الشام مأموناً عندهم استعمل رجلاً علىٰ كورة الشام وكان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: ما حملك علىٰ أن تستعمل رجلاً علىٰ كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية؟ قال : أصلح الله أمير المؤمنين، وما عليّ؟ كان أبو النبي ﷺ مشركاً فقال عمر: آه، ثم سكت، ثم رفع رأسه فقال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ ثم قال : لا تلي لـي شيئاً ما بقيت[١٤٨] .

الشاهد: أن عمر رضي الله عنه أراد أن يعزر المتكلم الذي قال: "كان أبو النبي مشركا" لكنه اكتفىٰ بعزله، وطرده من دواوين الدولة، وذلك لسوء أدبه بحق والد النبي ﷺ .

قال المشيشي الطرابلسي [١٤٩] :

حديث إحياء أبوي النبي ﷺ موضوع كما قال ابن دحية، وقوّاه علي قاري، والحق : أنه ضعيف، كما قال ابن شاهين، وابن عساكر .

قال السنوسي في عقيدته :

أيقنتُ أن أبـا النبـيِّ وأمَّـه أحياهمـا الـرب القديـر البـاري
حتى لـه شـهدا بصـدق رسالـة صـدَّق فتلك كـرامـة الـمخـتار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

(١٤٨) [تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٢٢)] .

(١٤٩) [اللؤلؤ المرصوع (ص: ٣٣)] .

قال الشيخ يوسف النبهاني عليه رحمة الله:

أليـس إيمانهـما بـــــلازم ومنهما قد جاء هديُ العالم
كيف يكون رحمة العوالِـم لـوالديـه وهـــو غـير راحـم
فاقطـع لسان قائــل بـالضد
روى لســاني ودرى جناني أنهـما فـي الـخلـد خـالـدان
قـد حيـيا بقـدرة الرحمـن وآمــنا بابـنهـما العدنـــان
فخــر معــدّ وبنـي معــدِّ

الرَّوضَةُ السادسة

الهدرة في امتحان أهل الفترة

أورد علماء الحديث جملة من الأحاديث التي تفيد بأن الله تعالى سيمتحن أهل الفترة، وأطفال المشركين، والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة يوم القيامة، بأن يمثل لهم ناراً، ويرسل إليهم ملكا يأمرهم أن يدخلوها، فمن أجاب دخل الجنة، ومن تردد وامتنع دخل النار، والعلماء في هذه الأحاديث بين مؤيد ومعارض حيث أنها عارضت القرآن بأن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يرسل إليه رسولا، وأن يوم القيامة ليست دار تكليف .

الحديث الأول:

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَصَمُّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَلَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعَنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ (١٥٠) .

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَسَمَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهُ وَالْأَصَمُّ وَالْأَبْكَمُ، وَالشُّيُوخُ الَّذِينَ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ خَرِفُوا، ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولًا، أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ، وَايْمُ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ قَبْلُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥١) .

(١٥٠) مسند إسحاق بن راهويه (١ /١٢٢،رقم:٤١)، صحيح ابن حبان (١٦/٣٥٦، رقم:٧٣٥٧)، ورواه الإمام ابن جرير الطبري من طريقين في (تفسيره) (٩/ ١٥ / ٥٤) عن معمر عن همام موقوفا من حديث أبي هريرة .

(١٥١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر(14/ 526) .

قلت: وممن تتبع روايات هذه الأحاديث بطرقها وأسانيدها ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٥/ ٥٤) وما بعدها ، طبعة دار طيبة، بتحقيق: سامي محمد سلامة. وبعد النظر في أقوال العلماء وجدتهم انقسموا إلى أربعة أقسام:

الأول: ذهب إلى الوقوف فيهم، يعني أطفال المشركين .

الثاني: جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن حندب في صحيح البخاري، أنه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة، وحوله ولدان. فقال له جبريل: هذا إبراهيم عليه السلام، وهؤلاء أولاد المسلمين، وأولاد المشركين. قالوا: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ قال: «نعم، وأولاد المشركين » .

(الثالث): جزم لهم بالنار لقوله ﷺ: «هم مع آبائهم» .

(الرابع): ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات، فمن أطاع دخل الجنة، وانكشف علم الله فيه بسابق السعادة. ومن عصى دخل النار داخراً، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة .

قال ابن كثير "وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة " .

وهذا القول هو الذي اعتمده البيهقي في كتاب الاعتقاد [١٥٢] ، وضعفه ابن عبد البر بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال:

[١٥٢] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، (١٤٠١) هـ (ص:١٦٧) وما بعدها .

وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكف نفساً إلا وسعها .[١٥٣]

قلت: احتج المعارض والقائل بالامتحان بقوله تعالى: ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] .

قال: إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار ، وقد قال الله تعالى: يوم يكشف عن ساق... وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقاً واحدا، كلما أراد السجود خر لقفاه ... الخ

الجواب: إن التكليف لا يكون إلا في دار الدنيا، وهي دار العمل والاكتساب، بدليل أن الكافر يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل ويعبد الله كما قال تعالى على لسان الكفار يوم القيامة: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقول النبيﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ

(١٥٣) نقله عنه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٥/ ٥٨) .

ثَلَاثٍ...[١٥٤].»، أفادت الآيات أنه: ليس بوسع المكلف العمل مجرد خروج روحه من جسمه، إلى دخول الجنة أو النار، وأن فترة ما بعد الموت بما فيها يوم القيامة، ليست دار تكليف، وليس فيها عمل، وإلا لطلب الكفار أن يقولوا كلمة التوحيد ولو مرة واحدة، حتى لا يخلدوا في النار، بل طلبوا الرجوع إلى الدنيا، حتى أنه لو افتدى أحدهم نفسه بملء الأرض لم يقبل منهم، لأن التكليف انقطع، وغلق باب التوبة، وانتهى الأمر. ومعنى انقطاع العمل أي انقطاع التكليف الشرعي، وهذا القول هو الموافق لعموم الآيات الناصة على عدم عذاب من لم تصله دعوة الرسل .

جاء في صحيح البخاري: في حديث الرؤيا الطويل وفيه قوله ﷺ «...وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوضَةُ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ » قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ﴾ [١٥٥] .

قال القرطبي: قال الحليمي: وهذا الحديث " أي حديث الامتحان" ليس بثابت وهو مخالف لأصول المسلمين، لأن الآخرة ليست بدار امتحان فإن المعرفة بالله تعالى فيه تكون ضرورة ولا محنة مع الضرورة، ولأن الأطفال هناك لا يخلوا من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء، فإن كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة، وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة أبعد" [١٥٦] .

(١٥٤) صحيح ابن حبان (٧/٢٨٦) .

(١٥٥) صحيح البخاري (٩/ ٤٤، رقم:٧٠٤٧) .

(١٥٦) في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٠٤١) .

قال ابن عبد البر: وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي أَحَادِيثِ هَذَا الْبَابِ كُلِّهَا مَا ذَكَرْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَذْكُرْ أَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ الشُّيُوخِ، وَفِيهَا عِلَلٌ وَلَيْسَتْ مِنْ أَحَادِيثِ الْأَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ، وَالْقَطْعُ فِيهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ضَعْفٌ فِي الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ، مَعَ أَنَّهُ عَارَضَهَا مَا هُوَ أَقْوَى مِنْهَا وَاللهُ أَعْلَمُ [١٥٧].

إنه من المتفق عليه عند أهل السنة والجماعة أنه لا يخلد مكلف بمعصية، وإنما يخلد بكفره بالله تعالى، وأحاديث الامتحان ليس فيها كفر بالله تعالى، لأن الأمر قد انكشف عندهم، والخلق كلهم آمنوا بالله تعالى، فيعود عدم دخولهم النار لمن امتنع معصية، بغض النظر هل هي كبيرة أو صغيرة، ولا يخلد عاصي بمعصيته، فإذا ثبت هذا بطل القول بأحاديث الامتحان كلها، فيعود الأمر بنجاة أهل الفترة، وهو الموافق للمحكم من كتاب الله تعالى، ولما عليه جمهور الأمة .

إن استشهادهم بآية: ﴿يوم يدعون إلى السجود...﴾، ليس في محله، لأن دعوة السجود هذه هي من باب التبكيت والتقريع لأولئك المنافقين، الذين اتخذوا دينهم في الدنيا هزوا ولعبا، وهو عذاب نفسي لهم كما سببوا العذاب النفسي للمؤمنين في الدنيا، إذ الجزاء من جنس العمل، ولذلك أمثلة في كتاب الله تعالى:

(١) ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣] .قال ابن عاشور: فيجوز أن يكون إطلاق نقتبس هنا حقيقة بأن يكونوا ظنوا أن النور الذي كان مع المؤمنين نور شعلة،

(١٥٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨ /١٣٠) .

وحسبوا أنهم يستطيعون أن يأخذوا قبسا منه يلقىٰ ذلك في ظنهم لتكون خيبتهم أشد حسرة عليهم [١٥٨] .

(٢) ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] ، هنا الموافقة اللفظية للآية التي استشهدوا بها: ﴿يُدعون﴾ فكما أن لفظة ﴿ندعو﴾ في هذه الآية غير دالة علىٰ التكليف، كذلك لفظة ﴿ يدعون إلىٰ السجود﴾ لا تدل علىٰ التكليف أيضا!! .

(٣) ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، تفيد الآية أن الإنسان غير مطالب بما لا يعلم، وبيّنت الآية أدوات العلم وهي: السمع والبصر والفؤاد، فبأداة السمع يسمع ما يلقىٰ إليه من الكلام، وأداة البصر يرىٰ ما دوِّن من العلم في الكتب، والفؤاد يعقل ذلك ويخزنه فيه، والصبي لا يمتلك كل هذه الأدوات، بل ربما يمتلك بعضها كالسمع والبصر، لكن ليس لديه ملكة التمييز حتىٰ يعرف الحق من الباطل، لذلك بطل القول بتكليفه يوم القيامة لأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] .

(٤) جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَىٰ حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ،

(١٥٨) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٨٢) .

صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» [١٥٩] .

أفاد هذا الحديث أن التكليف هنا ليس تكليفاً شرعياً، بل هو عذاب نفسي، لتقوله على الله ما لم يُره حقيقة في منامه، يؤيده هذا الصورة التالية في هذا الحديث، وهو صب الآنك في أذني من استمع لحديث قوم وهم له كارهون، فالجزاء من جنس العمل، وفي الصورة الثالثة ليس فيها تكليف شرعي، بل هو عذاب نفسي له، بدليل قوله ﷺ «وليس بنافخ» ، وإنما هو التبكيت لهؤلاء الأصناف من الناس، والتقريع والخزي والعذاب النفسي . كذلك يقال في آية دعوة السجود . والله أعلم

الرَّوضَةُ السابعة

تحقيق الرغائب في إيمان أبي طالب

عمُّ النبي ﷺ وكافله بعد موت عبد المطلب جده، واسمه عبد مناف، أدرك البعثة، ومات في العام العاشر منها، وسماه النبي ﷺ عام الحزن ، لم أر فيما لديَّ من مصادر أنه أعلن إسلامه، بحيث يجمع العلماء على أنه في عداد الصحابة، وحتى نصدر عليه الحكم الصحيح لا بدَّ من الكلام أولاً على هذه المسائل:

- أسس الدعوة في مكة
- تعريف الإيمان والإسلام

(١٥٩) (٩/ ٤٢، رقم:٧٠٤٢) .

- سيرة أبي طالب

(المسألة الأولى) أسس الدعوة في مكة :

كان النبيﷺ يدعو الناس في الفترة المكية إلى ثلاثة أمور هي:

١. الإيمان بالله تعالى، ونبذ الأوثان .

٢. الإيمان بالبعث بعد الموت، وأن الناس سيبعثون في يوم لا ريب فيه، وسيجزي الله فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته .

٣. الإيمان بالجنة والنار، وهما دارا القرار بعد يوم الحساب، وأن المؤمن مخلد في الجنة، وأن الكافر مخلد في النار .

والمتتبع لآيات القرآن التي نزلت في مكة يجد هذه الأمور واضحة المعالم، وقد أقام القرأن حججاً دامغة لإثبات هذه الأسس، وأيد الله نبيه ﷺ بالمعجزات الكثيرة منها انشقاق القمر، الذي شاهدها أهل مكة جميعا، ومنها معجزة القرآن وبلاغته، حتى تيقن القاصي والداني أن النبي ﷺ صادقاً فيما يقوله .

ولم يطالب النبي ﷺ الناس بأركان الإسلام غير الشهادتين، فالصلاة فرضت قبل الهجرة بسنة، والصوم والزكاة فرضتا في السنة الثانية للهجرة، والحج فرض في السنة التاسعة للهجرة، لذلك لم يبق غير كلمة التوحيد .

(المسألة الثانية) تعريف الإسلام والإيمان:

الإسلام هو إعلان النطق بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، بدليل ما رواه عُمَر قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ

الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ »[١٦٠].

فمن نطق بالشهادتين، وأقام أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج فقد عصم دمه وماله، وجرت عليه أحكام الإسلام الظاهرة، بدليل ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِّ»[١٦١] أما الإيمان فهو اعتقاد بالقلب، بدليل الحديث: «أن تؤمن ...» والإيمان هو التصديق ومحله القلب، أما ما انعقد عليه الجنان لا يُعد من الإسلام في شيء، فقد كان المنافقون في المدينة يقيمون أركان الإسلام، وجرت عليهم أحكام الإسلام، ولكنهم في الآخرة من الأشقياء ، فسعادة المرء تكمن في ما انطوىٰ عليه قلبه، لا علىٰ ما فعله فقط، فإن قصر في العمل فهو تحت المشيئة الإلهية؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ولكنه سيخرج من النار بعد

(١٦٠) صحيح مسلم (١/ ٣٧) .

(١٦١) صحيح البخاري (١/ ١٤)

انقضاء مدة الحكم . روى النسائي عَنْ بِشْرِ بْنِ سُحَيْمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» [١٦٢] .

وجماع ذلك كله قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله﴾ [محمد: ١٩]، والعلم يكون في القلب لا باللسان، وإنما اللسان لأحكام الشريعة فقط .

وتطبيق هاتين المسألتين على أبي طالب نجد أنه غير مطالب بأركان الإسلام غير الشهادتين، حتى يُحكم عليه بصحبة النبي ﷺ لأن أركان الإسلام لم تشرع قبل موت أبي طالب، أما الإيمان الذي نحكم من خلاله على سعادته في الآخرة سنجده من خلال الكلام على سيرت فنقول:

(المسألة الثالثة) موجز حياة أبي طالب وسيرته:

هو كافل النبي ﷺ بعد موت جده عبد المطلب بوصية منه، فضمه إلى أولاده، ورعاه وأحبه أكثر مما كان يحب أبناءه، ولم يكن يستطيع الجلوس إلا معه، ولم يكن يطق فراقه لشغفه به، وإذا أراد سفراً أخذه معه .

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير صب [١٦٣] له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني

(١٦٢) سنن النسائي (٨/ ١٠٤، رقم:٤٩٩٤)، بسند صحيح .

(١٦٣) من الصبابة وهي الشوق والحنين ، سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: ٧٣) .

لا أب لي ولا أم؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً؛ أو كما قال .

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرىٰ من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتىٰ إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك- فيما يزعمون- عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا وغماماً تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتىٰ نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلىٰ الغمامة حتىٰ أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة علىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ استظل تحتها، فلما رأىٰ ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضىٰ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم صغيركم [وكبيركم] ، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا، تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل مع القوم من قريش: واللات والعزىٰ

إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتىٰ أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلىٰ أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتىٰ إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزىٰ إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسلني باللات والعزىٰ شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسلك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلىٰ ظهره فرأىٰ خاتم النبوة بين كتفيه علىٰ موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ منه أقبل علىٰ عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلىٰ به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلىٰ بلده، واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلىٰ بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتىٰ أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيرا وتماماً، ودريسا، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم- في ذلك السفر الذي كان

فيه مع عمه أبي طالب- أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا ، وذكرهم الله عز وجل، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا .

ولما بلغ النبي ﷺ الخامسة والعشرين من عمره زوجه من السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان مما قاله في خطبتها: الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وزَرْعِ إِسْمَاعِيلَ، وضِئْضِئِ مَعَدٍ، وجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ وسُوَّاسَ حَرَمِهِ، وجَعَلَ لنَا بَيْتاً مَحْجُوجاً، وحَرَمًا آمِنًا، وجَعَلَنَا الحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ ابنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ لا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرَفاً، ونُبْلًا، وفَضْلًا، وعَقْلًا، فَإِنْ كَانَ فِي المَالِ قُلٌّ، فإِنَّ المَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وأَمْرٌ حَائِلٌ، ومُحَمَّدٌ مِمَّنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ، وقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ رَاغِباً كَرِيمَتَكُمْ خَدِيجَةَ، وقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا حَكَمَ عَاجِلُهُ، وآجِلُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشًّا ، وهُوَ وَاللهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وخَطَرٌ جَلِيلٌ جَسِيمٌ .

فَكَانَ جَوَابُ وَلِيِّ خَدِيجَةَ: هَذَا البِضْعُ لَا يُقْرَعُ أَنْفُهُ [١٦٤] .

الشاهد: مبنى الخطبة ينص على أن أبا طالب كان على ملة إبراهيم، فحمد الله والثناء عليه دليل التوحيد، وذكر النسب دليل الشرف، ثم ذكر المآثر دليل شكر النعمة بالاعتراف بها .

[١٦٤] اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/ ١٢٧)، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (ص: ٢٤١)، مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار (ص: ١٠٧)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٣٧٦)، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٢٠١)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ٢٦٤)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٦٥)، إمتاع الأسماع (٦/ ٢٩)، خلاصة سير سيد البشر (ص: ٣٨)، الروض الأنف ت الوكيل (٢/ ٢٣٨) .

ولما بُعث رسول الله ﷺ دعا قومه من بني هاشم للإيمان، فآمن أكثرهم، إلا أبا لهب فقد جاهر بالعداوة للنبي ﷺ وأبا طالب لم يظهر إسلامه، لكنه بقي على محبته للنبي ﷺ ونصرته إياه، وحمايته له من أذى مشركي قريش، فلم يجرؤ أحد من الكفار أن ينال من رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تآمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب، وقد قال أبو طالب، حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب، وهو يحرض بني هاشم، وإنما كانت بنو المطلب تُدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذي كان بين بني هاشم وبين بني المطلب دون بني عبد مناف فقال:

حتى متى نحن على فتنة يا هاشم والقوم في محفل
يدعون بالخيل على رقبة منا لدى الخوف وفي معزل
كالرحبة السوداء يعلو بها سرعانها في سبسب مجفل
عليهم النزك على رعله مثل القطا الشارب المهمل
يا قوم ذودوا عن جماهيركم بكل مفضال على مسبل
وقد شهدت الحرب في فتية عند الوغا في عثير القسطل

فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأىٰ أن قد امتنع بهم وأن قريشاً لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادىٰ قومه بالعداوة، ونصب لهم الحرب فقال:

منعْنا الرسولَ رسولَ المليك ببيضٍ تلألأ كلمعِ البروق
بضَرْبٍ بزبرٍ دون التهاب حذارِ البوادر كالخنفقيق
أذب وأحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق
وما أن أدبَّ لأعدائه دبيبَ البكار حذار الفنيق

فلما رأىٰ أبو طالب من قومه ما سره من جدهم معه، وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول اللهﷺ فيهم، ومكانه منهم، ليشتد لهم رأيهم فيه، وليحدبوا معه علىٰ أمرهم، فقال أبو طالب:

إذا اجتمعت يوماً قريشاً لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثُّها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقرُّ ظلامةً إذا ما ثنوا صعر الخدود نُقيمها
ونحمي حماها كلَّ يومِ كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها

قال: فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ واجتمعت قريش على عدوانه وخلافه، قال أبو طالب في ذلك[١٦٥] :

ما إن جنينا من قريش عظيمة سوى أن منعنا خير من وطىء التربا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فإياكما أن تسعرا بيننا حربا
وإن تصبحوا من بعد ود وإلفة أحابيش فها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ورهط أبي يكسوم إذ ملأ والشعبا
فو الله لولا الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تملكون لنا سربا

ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب أبي خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك، وعدوانهم، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له فيما بلغنا: يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عمارة بن الوليد جمالا، وشباباً، ونهادة، فهو لك نصره وعقله، فاتخذه ولداً لا تنازع فيه، وخل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذي فارق دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومه، وسفّه أحلامهم، فإنما رجل كرجل لنقتله، فإن ذلك أجمع للعشيرة، وأفضل في عواقب الأمور مغبة، فقال لهم أبو طالب: والله ما أنصفتموني، تعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابن أخي تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبداً، أفلا تعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لم تحن إلى غيره، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: لقد أنصفك قومك يا أبا طالب؛ وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم، فقال أبو طالب للمطعم بن عدي: والله ما أنصفتموني ولكنك قد

(١٦٥) سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: ١٤٨) .

أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال أبو طالب، فحقب الأمر عند ذلك، وجمعت للحرب، وتنادى القوم، وبادى بعضهم بعضا .

ثم إن قريشا مشوا إلى أبي طالب تارة أخرى فكلموه ، وقالوا: ما نحن يا أبا طالب، وإن كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك، بتاركي ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا، وسب آبائنا، وعيب ديننا، فإن شئت فاجمع لحربنا، وإن شئت فدع، فقد أعذرنا إليك، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلصاً، فانظر في أمرك، ثم اقض إلينا قضاك.

ولما قالت قريش لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا، للذي قالوا له، وآذوني قبل، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه؛ وضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ : يا عم لو وضعت الشمس في يميني، والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فو الله لا نسلمك بشيء أبداً، ثم قال في ذلك شعراً:

والله لـن يصلوا إليك بجمعـــهم حتى أوسَّـد في التراب دفينا

إمضي لأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيوناً

ودعـوتَني وعلمتُ أنـك نـاصحٌ فلقد صدقتَ وكنت ثمَّ أمينا

وعرضتَ ديـناً قـد عرفت بـأنـه مـن خـير أديـانِ البريةِ ديـنا

وقال إبو طالب:

الا أبلغا عني علـى ذات نأيــها لـؤياً وخصا من لؤي بني كعب

ألــم تعلموا أنـَّا وجدنـا محمداً نبيا كموسى خُطَّ في أول الكتب

وأن عليه فـي العــباد محــبةً ولا خير فيمن خصه الله بالخب

فلما سمعت قريش بذلك، ورأوا منه الجد وأيسوا منه، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء، وأخرجوهم من ديارهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها على الكعبة، وهي بمثابة حصار اقتصادي، أن لا يبيعوا لبني عبد مناف شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ويقطعوا عنهم كل قوت، ولا يكلموهم، ولا يدعوا أحداً منهم يدخل مكة، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم، وفي قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم، وبتأولهم سفك دمائهم، فقال أبو طالب: اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا، فعجل نصرنا، وحل بينهم وبين قتل إبن أخي، ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه، فقال أبو طالب: ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم، والله لتنتهن عن الذين تريدون، أو لينزلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون، فأجابوه إنكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل محمد.

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب إبن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن، دخل لنصرة الله، فدخلوا شعبهم، وهو شعب في ناحية من مكة، فلما قدم عمرو عمرو

بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة إلى قريش، وأخبروهم بالذي قال النجاشي لمحمد ﷺ وأصحابه، اشتد وجدهم، وآذوا النبي ﷺ وأصحابه أذى شديداً وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحدا من الناس يُدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر، وعلي النقد، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء، حتى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم، وأظهروا الكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة الذي تعاهدوا فيها على رسول الله ﷺ ورهطه، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً، فكان رسول الله ﷺ إذ أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بني هاشم الذين في الشعب يتضاغون من الجوع، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً، فيقول الرجل لصاحبه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقول: بخير، فيقول: لكن اخوانكم هؤلاء الذين في الشعب بات صبيانهم يتضاغون من الجوع حتى أصبحوا، فمنهم من يعجبه ما يلقى النبي ﷺ ورهطه، ومنهم من يكره ذلك فقال أبو طالب في ذلك :

كذبتم وبيتِ الله لا تقتلونه جماجم تُلقى بالحطيم وزمزم
وتُقطع أرحامٌ وتنسى حليلةٌ حليلها ونغشاً محرماً بعد محرم
وينهص قوم في الدروع إليكم يذبُّون عن أحسابهم كلَّ مجرم

ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوا فيها تظاهرهم على بني هاشم، الأرضه، فلم تدع فيها اسماً هو لله عز وجل إلا تركته، وما فيها من الظلم والقطيعة والبهتان إلا أكلته، فأخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ فأخبر أبا طالب، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدثك هذا، وليس يدخل إلينا أحد ولا تخرج أنت إلى أحد، ولست في نفسي من أهل الكذب، فقال له رسول الله ﷺ أخبرني ربي هذا، فقال له عمه: إن ربك لحق، وأنا أشهد أنك صادق، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين، فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد، والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروه تباشروا به، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم، وفي حياته فرقتكم وفسادكم! فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا، هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا، فجاءوا بها، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، وإن ابن أخي قد خبرني ولم يكذبني؛ أن الله

عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة، فلم تدع لله فيها إسماً إلا تركته وما فيها الظلم والقطيعة والبهتان إلا أكلته، فإن كان كاذباً فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم المواثيق، وأخذوا عليه، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ وكانوا هم بالغدر أولى منهم، واستبشر أبو طالب وأصحابه، وقالوا: أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان؟ فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وهشام بن عمرو، أخو عامر بن لؤي بن حارثة، فقالوا: نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، ولن نمالىء أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا، وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد .

فلما باداهم أبو طالب بالعداوة، وباداهم بالحرب، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً. وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون، وفر أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبي طالب ليمنعه، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه، فمنعهم، فقالوا: يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك، أتمنع منا ابن أخينا؟! فقال أبو طالب: أمنع ابن اختي مما أمنع ابن أخي، فقال أبو لهب- ولم يتكلم بكلام خير قط، ليس يومئذ-: صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع، ورجا نصره والقيام معه، فقال أبو طالب:

تعلمُ خيارُ الناس إنَّ محمداً وزيرٌ لموسى والمسيحِ ابن مريم

أتى بهدي مثلَ الذي أتيا بـه وكلٌ بأمـر الله يـهدي ويعصم
وأنكم تتلونه في كتابكم بصدق حديثٍ لا حديث الترجم

موت أبي طالب:

ولما كان العام العاشر من البعثة مرض أبو طالب، فأتاه رسول الله ﷺ فقال له: يا عم قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة، قال: والله يا ابن أخي لولا أن تكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدي، يرون أني قلتها جزعاً حين نزل بي الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها، فلما ثقل أبو طالب رؤي يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس ليسمع قوله، فرفع العباس عنه فقال: يا رسول الله، لقد قال والله الكلمة التي سألته، فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع.

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَوَارِهِ، وَلَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي»، قَالَ: فَوَارَيْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاغْتَسِلْ، وَلَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي»، قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَدَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ بِهَا حُمْرَ النَّعَمِ أَوْ سُودَهَا. قَالَ: «وَكَانَ عَلِيٌّ إِذَا غَسَّلَ مَيِّتًا اغْتَسَلَ» (١٦٦).

هذا مختصر لسيرة أبي طالب، وموقفه من النبي ﷺ ومحبته له، ونصرة دعوته، ومحاربته قومه، ودخوله الشِّعب معه لمدة ثلاث سنين، إلى غير ذلك مما قرأنا، وبناء على

(١٦٦) أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٣٥)، مسند أحمد ط الرسالة (٢/ ١٨٦، رقم:٨٠٧)، المعجم الأوسط (٦/ ٢٥١، رقم:٦٣٢٢)، السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٤٥٥، رقم:١٤٥٣) بسند جيد.

هذا، وعلى ما جاء في كتب الحديث تشير إلى أنه لم يسلم، انقسم الناس فيه إلى أربعة أقسام:

الأول: قالوا بإسلامه، وهو جماعة من أهل السنة، وجمهور الصوفية، وأهل البيت، وجمهور الشيعة .

الثاني: قالوا بإيمانه، وأنه لم يُظهر إسلامه، فهو ناج بتوحيده يوم القيامة، ولا تجري أحكام الإسلام في الدنيا .

الثالث: قوم توقفوا، ولم يحكموا فيه بشيء .

الرابع: قالوا بكفره، وذلك بناءً على ما جاء في الصحيحين وغيرهما .

وبعد كل ما تقدم نقول: إن إيمان أي شخص أو عدمه ، إنما يستفاد من أمور أربعة هي :

(١) إقراراته اللسانية بالتوحيد .

(٢) مواقفه العملية، في خدمة دين الله، ومعاملته مع النبي ﷺ .

(٣) موقف النبي ﷺ منه .

(٤) إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، خصوصاً أهل بيته القريبين منه، والمطلعين على أسراره .

أما مواقفه العملية في خدمة دين الله تعالى فقد خبرناها، وأنه ناصر الدعوة الإسلامية، وحمى النبي ﷺ من الكفار، وناضل دونه، وأظهر الشجاعة التي بلغت حدَّ التحدي للكفر وجلجلته، وبقي على ذلك إلى أن توفاه الله، فهذه النقطة هي في صالح أبي طالب .

وأما إقرارته اللسانية بالتوحيد فهي أكثر من أن تحصىٰ، وقد وجدنا كثيراً منها في شعره، فيشهد لله تعالىٰ بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، ويؤمن باليوم الآخر، وأن الله سيجازي العباد علىٰ أفعالهم وغير ذلك من ضروريات التوحيد ، وهذه نماذج من شعره التي يصرح فيها بذلك:

مليكُ الناسِ ليس له شريكٌ هو الوهَّابُ ، والمبُدي المعيد
ومَن تحت السماء له بحق ومَن فوقَ السماء له عبيد

والله لا أخذلُ النبيَّ ولا يخذلُه من بنيَّ ذو حسب

يقولون لي دع نصرَ من جاء بالهدى وغالب لنا غِيبَ كل مُغالب
وسلِّمْ إلينا أحمداً واكفلنْ لنا بنيَّاً ولا تحفل بقول المعاتِب
فقلتُ لهم: اللهُ ربي وناصري على كلِّ باغ من لؤي بن غالب

أنت الرسولُ رسولُ الله نعلمهُ عليك نُزِّل من ذي العزَّةِ الكتبُ

مليكُ الناس ليس له شريكٌ هو الوهاب والمبدي المعيد
ومَن تحتَ السماء له بحقٍّ ومن فوق السماء له عبيدُ

لقد أكرم اللهُ النبيَّ محمداً فأكرمُ خلقِ الله في الناس أحمدُ

وشـقَّ لـه مـن اسـمه ليُجلَّـهُ فـذو العرش محمودٌ وهــذا محمدُ

يـا شاهــدَ الخلق عليَّ فـاشهدِ

أنـي علـى ديـنِ النبـيِّ محمدِ

مَن ضلَّ في الدين فإني مهتدي

إذا قيلَ: مَن خيرُ هذا الورى قَبـيلاً وأكــرمُــهمْ أُسـرةِ؟

أنــافَ بعــبد مــنافٍ أبٌ وفضــلُه هــاشــمُ الغُــرَّةِ

لقـد حــلَّ مجـدُ بني هــاشمٍ مـكان النَّـعائــم والنَّــثرة

وخــيرُ بنـي هــاشـم أحــمدٌ رسـولُ الإلهِ علـى فــــترةِ

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمـالُ اليتامى عصمةٌ للأرامــلِ

يلـوذُ بـه الهلاَك من آل هاشمٍ فهـم عنده في نعـمةٍ وفـواضــل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمدٍ وإخــوتهِ دأبَ المُحبِّ المُواصِـل

أقـيم علـى نصر النبـيِّ محمدٍ أقاتلُ عــنه بالقــنا والقنابــل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلـها وزيــناً لــم ولاَّه ربُّ المشــاكل
فمن مثله في الناس أيُّ مؤمـل إذا قاسه الحكام عـند التنفاضل

في قصيدة بلغت (١١٠) أبيات .

وقال في قصيدة بعث بها إلى النجاشي ملك الحبشة، يوصيه بمن عنده من المسلمين، ويخبره بأن محمداً هو رسول الله شأنه شأن موسى وعيسى، وهو مكملٌ لرسالتهم، ويدعوه بها للإسلام وترك الصليب:

أتعلمُ ملْكُ الحُبشِ أنَّ محمداً نبيٌّ كموسى والمسيحِ ابـنِ مريـم
أتى بهُدىً مثْل الذي أتـيا بـه وكلٌّ بأمر الله يهـدي ويعصِـمُ
وإنكمُ تتلونه في كـتابكم بصدق حديثٍ لا بصدق الترجُّم
فلا تجعلوا لله نـدّاً وأسلمـوا وإن طريق الحق ليس بمظــلم

وقال مخاطباً نبيَّ الله ﷺ عندما تحزبت قريش ضده، وهموا بقتال بني عبد مناف:

والله لـن يصلــوا إليك بجمعــهم حتى أوسَّد فـي التراب دفيــنا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بـذاك وقــرَّ منه عيونا
ودعـوتني وزعمت أنـك نـاصــح ولقد صدقت وكنت ثـم أمينا
وعرضتَ ديــناً قــد علمتُ بأنـه من خيرِ أديـان البريـَّةِ دِيــنا

ألـم تعلموا : أنـا وجـدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

نبيٌ أتـاه الـوحيُ مـن عندِ ربـه ومن قال : لا ، يقرع بها سن نادم

يـا شاهــدَ الله عـلي فـاشـهد إني عـلـى ديـن النـبي أحمـد

أنت الرسول رسـول الله نَعْلَــمُه علـيك نـزل من ذي العزة الكتب

هذه نماذج اقتبسناها من ديوان أبي طالب، كل قصيدة منها تجدها في ديوانه حسب قافيتها، ورواها أيضاً أصحاب السير، مثل محمد بن إسحاق، وابن هشام، وفي البداية والنهاية لابن كثير، وغيرهم، كما تجد ذلك في الاستذكار والتمهيد لابن عبد البر، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني وغيرهم .

والمتمعن فيها يجد التوحيد بعينه، فهو يشهد لله تعالى بالوحدانية، وللنبي محمد بالرسالة، كما أنه يؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالحساب، ويؤمن برسالة موسى وعيسى، والكتب المنزلة، ورفض عبادة الأصنام، وعقيدة صلب المسيح، ويؤمن بدين إبراهيم؛ الحنيفية، وينهى عن الظلم والعقوق، وقطيعة الرحم، إلى غير ذلك، وهي عقائد وأحكام وأخلاق أتى بها الإسلام ، فمن خلال هذه النقولات نستطيع أن نحكم له بالتوحيد حسب: النقطة الأولى وهي:

(١) إقراراته اللسانية بالتوحيد . وأما النقطة الثانية وهي:

(٢) مواقفه العملية، في خدمة دين الله، ومعاملته مع النبي ﷺ ، فقد رأيناها في موجز سيرته التي عرضناها، فنجده أنه كان يُحب النبيَّ ﷺ أكثر من بنيه، ويدفع عنه أذىٰ قريش، وينصره، ويُحسن معاملته، كما أنه كان يدعو الناس لاتباعه، وخاصة أقاربه من بني عبد مناف، ويدعوهم لنصرته، وعادىٰ أخاه أبا لهب لوقوفه ضد دعوته، ودخل مع المسلمين الشِّعب الذي حصرتهم فيه قريش، وفرضت عليهم حصاراً اقتصادياً لمدة ثلاث سنوات، لم يتخلف عن موقف احتاجه النبي ﷺ .

لذلك نجد أن هذه النقطة أيضاً في صالح أبي طالب .

وأما الثالثة وهي:

(٣) موقف النبي ﷺ منه فنقول:

عندما توفي أبو طالب، اشتد أذىٰ قريش للنبي ﷺ وتعرضت له، فقال ﷺ : « يا عم، ما أسرع ما وجدتُ فقدك!» [١٦٧] ، وأخرج ابن عساكر عن العباس أنه سأل النبي ﷺ عن أبي طالب فقال: «كل الخير أرجو من ربي» [١٦٨] ، وأخرج البيهقي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَتَيْنَاكَ وَمَا لَنَا بَعِيرٌ يُئِطُّ وَلَا صَبِيٌّ يَصِيحُ، وأنشده:

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَانُهَا وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الصَّبِيُّ اسْتِكَانَةً مِنَ الْجُوعِ ضَعْفا مَا يُمَرُّ وَلَا يُحْلِي
وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ

(١٦٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٤٣٥) .

(١٦٨) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٦/ ٣٣٦)، الطبقات الكبرى ط العلمية (١/ ١٠٠) .

وَلَيْسَ لـــنَا إِلَّا إِلَيــكَ فِـــرَارُنَا وَأَيْـــنَ فِـــرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَـى الرُّسْـــلِ

فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّىٰ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً غَدَقاً، طَبَقاً عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ»، فو الله مَا رَدَّ يَدَيْهِ إِلَىٰ نَحْرِهِ حَتَّىٰ أَلْقَتِ السَّمَاءُ بِأَبْرَاقِهَا، وَجَاءَ أَهْلُ الْبِطَانَةِ يَعْنِجُونَ يَا رَسُولَ الله! الْغَرَقَ الْغَرَقَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، فَانْجَابَ السَّحَابُ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّىٰ أَحْدَقَ بِهَا كَالْإِكْلِيلِ، فَضَحِكَ رَسُولُ الله » حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: «**لله دَرُّ أَبِي طَالِبٍ** لَوْ كَانَ حَيًّا قَرَّتَا عَيْنَاهُ مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ»؟ فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله كأنك أردت:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجــهه ثمـالُ اليتامى عصمةٌ للأرامـــلِ
يلـوذُ بـه الهلاَك من آل هاشــمٍ فهـم عنده في نعـمةٍ وفـواضـــل
كَذَبْتُمْ وبيت الله نُبزي محمـدا وَلَـــمَّا نُقَـاتِلْ دُونَـــهُ وَنُـــنَاضِـلِ
وَنُسْلِـمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَـوْلَـــهُ وَنَـذْهَـلُ عَـنْ أَبْـنَائِـنَا وَالْحَلَائِـلِ

الشاهد: قول النبي ﷺ «لله در أبي طالب»، وهي كلمة مدح تقولها العرب، لمن أحسن الفعل أو القول، ولولا أن النبي ﷺ علم من أبي طالب خيرا ما مدحه بعد موته، وأضحىٰ رهين عمله، وهذا دليل عدم كفره .

وأما النقطة الرابعة وهي:

(٤) إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، خصوصاً أهل بيته القريبين منه، والمطلعين على أسراره .

فهم مجمعون على إيمان أبي طالب، وأنه كان مسلماً يُخفي إسلامه حتى ينصر رسول الله ﷺ وألفوا في ذلك التواليف التي بلغت العشرات، وإنما كانوا يُخفون ذلك خوفاً على أنفسهم من بني أمية حيث كانت الدولة لهم بعد الخلافة الراشدة، حتى أن بعض رواة الحديث فقد حياته عندما مدح علي بن أبي طالب، وسأتكلم على هذه النقطة في نهاية هذا البحث إن شاء الله .

أدلة إيمان أبي طالب

وإنما قلت: إيمان، ولم أقل: إسلام، لأن المعتمد في نجاة العبد هو إيمانه، انظر منافقي المدينة في العهد النبوي، فقد أعلنوا إسلامهم، لكنهم في الدرك الأسفل من النار كما جاء في غير ما آية، وأنزل الله فيهم سوراً وآيات كثيرة، لكن الإيمان هو ما وقر في القلب من التوحيد، والإقرار بوحدانية الخالق سبحانه، وقد استنبطت أدلة من القرآن والسنة على صحة معتقد أبي طالب، وأنا ما نُسب إليه من أحاديث في الصحيحين إنما هي ظنية الدلالة، وأبدأ بالأدلة من الكتاب العزيز:

(الدليل الأول) قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾ [غافر: ٢٨] .

ما جاء في هذه الآية وما بعدها من آيات هي شديدة الشبه بحال أبي طالب، فهذا الرجل الذي لم يُسمِّه القرآن كان مؤمناً برسالة سيدنا موسى عليه السلام، ولكنه أخفى إيمانه ربما خوفاً على نفسه، وجادل قومه بأن الحق مع موسى، لأنه أظهر آيات لم تكن بمقدور البشر أن يأتوا بها، وأمرهم باتباعه، وحذرهم من العصيان والتمرد على شريعة الله، وأنهم سيذكرون قوله هذا ويتمنَّون أن لو اتبعوه .

دلت الآية على أن الله تعالى يقبل الإيمان من العبد إذا خالط القلب، وكان له العذر في إخفاء إيمانه إذا ترتب على إظهاره مفسدة، وكما هو مقرر في علم الأصول: أن درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح، والمفسدة التي رآها أبو طالب هي عدم قدرته على نصرة النبي ﷺ إن هو أظهر الإسلام، لأن قومه لن يقبلوا بحمايته له إن هو اتبعه، فخوفاً على رسول الله ﷺ من تعرضه لأذى سفهاء قريش لم يظهر أبو طالب إسلامه، وهو مقصد جدير بالاهتمام والدراسة .

(الدليل الثاني) قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾ [محمد: ١٩] .

نصت الآية الشريفة على قول: ﴿فاعلم﴾ ولم تنص على كلمة ﴿قل﴾، مخبرة بأن النجاة مقترنة بالعلم وليس باللسان، والعلم مكانه القلب، فهو أمر من الله تعالى المقتضي للوجوب العيني، أي أن كلَّ فردٍ مكلَّفٍ مطالبٌ بهذا الأمر، أي أن يصدق بوجود ووحدانيته الله تعالى، تصديقاً لا يقبل الشك، والنطق باللسان هو لإجراء الأحكام الشرعية .

وكما خبرنا من سيرة أبي طالب أنه كان موحداً، دلت على ذلك القرائن الكثيرة، التي أُخذت من خلال كلامه وأشعاره، وعرضنا منها أبيات .

(الدليل الثالث) قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

واتباع الرسول يكون بالتصديق برسالته، ثم قررت الآية بعد ذكر صفة النبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة أموراً يجب على العبد اتباعها حتى يكون من المفلحين هي: الإيمان برسالة النبي ﷺ ، ونصرته، واتباع أحكام القرآن .

أما الإيمان فلا شك فيه، فالقرائن كثيرة، وتصديقه برسالة النبي ﷺ بدأت منذ أن وصاه عبد المطلب بكفالة النبي ﷺ وأخبره بما بشر به ملك اليمن، ثم مروراً بما أخبره به الراهب بحيرا في الشام، وما رأى من الآيات والإرهاصات الدالة على نبوته، حتى لم يبق في قلبه ذرة من الشك .

وأما نصرته وتعزيره؛ فقد اتفق الجميع على ذلك، لم ينكر أحد أن أبا طلب نصر النبي ﷺ ونصر دعوته بكل ما آتاه الله من قوة، وبقي على نصرته وتعزيره حتى لقي ربه، وكتب السير تشهد على ذلك .

أما اتباع النور؛ فهو اتباع أحكام القرآن الكريم، ومعلوم أن الأحكام الشرعية شرعت بعد موت أبي طالب، وأولها الصلاة، فلم يُكلف المسلمون بشيء في العهد المكي سوى الإيمان، ونبذ الأصنام، والإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار .

فهذه الأمور الثلاثة التي جاءت في الآية الكريمة كانت محكمة عند أبي طالب، لم يفرط بواحدة منها .

(الدليل الرابع) قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحشر: ٨] .

هذه الآية نزلت في فقراء المهاجرين، لكن الحكم منسحب على كل من عمل بها، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واللفظ المعتبر هو:

الفقراء، المهاجرون، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ينصرون الله ورسوله، وكل هذه الصفات منطبقة على أبي طالب، حيث كان فقير الحال، كثير العيال . مهاجراً: هجر عبادة الأوثان، وفارق ما كان عليه قومه، جاء في صحيح البخاري «وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ »[١٦٩] ، وأُخرج من بيته وماله، أخرجه مشركو قريش إلى الشعب، ومكثوا على ذلك ثلاث سنين، لا يستظلون إلا بالشجر، ولا

(١٦٩) صحيح البخاري (١١/١) .

يدخلون مكة، ولا يأوون إلى بيت، بجوعهم وعطشهم وعريهم مع النبي ﷺ ومن آمن معه من بني عبد مناف .

ينصرون الله ورسوله، وهذه لا خلاف عليها، ولا شك فيها، فلم ينصر النبي ﷺ أحداً كما نصره أبو طالب، لذلك حكمنا بإيمانه .

(الدليل الخامس) قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩] .

الإيثار هو: تقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس، وعلى هذا التعريف نجد أن أبا طالب آثر النبي ﷺ على نفسه، فلم يُظهر إسلامه مع أنه كان مصدقا بنبوته، حتى يدفع عنه أذى قريش، فضحى بسمعته التي سجلها له التاريخ، وتكلم الناس فيه ونسبوه إلى الكفر حتى يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فآمن سراً وأظهر أنه على دين قومه، مع علمه أن التاريخ سيسجل ذلك، وأن الأجيال القادمة سيقذفونه بالشرك، إلا أن محبته للنبي ﷺ دفعته إلى ذلك، ولم يبال بكل ما سيتعرض له، ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، فهو من المفلحين إن شاء الله .

(الدليل السادس) قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء: ٦٩] .

طاعة الله باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع الرسول باتباع سنته ومحبته، أما الطاعة لله ورسوله فأهمها التوحيد، وأبو طالب كان موحدا، أما سائر الأحكام الشرعية فلم يدركها أبو طالب، حيث توفاه الله قبل شرعها، ومحبته للنبي ﷺ لا شك فيها، فهو بذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين في الجنة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» [١٧٠].

(الدليل الثامن) قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾ [النحل: ١٠٦].

نصت الآية على أن من تعرض للإكراه على الكفر يصح له التلفظ بكلمة الكفر بلسانه، غير معتقد بقلبه، حتى ينجو بروحه، وذلك رخصة للضعفاء الذين لا يقوون على الألم، وقد حصل ذلك مع بعض الصحابة، لكن إذا قسنا هذه الآية على أبي طالب نجد أنه لم يُظهر الإسلام أمام قومه، بحيث لا يشكوا في إسلامه، مكرهاً على ذلك، حتى يحمي النبي ﷺ من أذى قومه، فقلبه منشرح بالإيمان، غير متلفظ بالكفر، مظهراً للملأ أنه على دينهم، حفاظاً منه على سلامة ابن أخيه ﷺ.

فهي رخصة له بنص القرآن الكريم.

الأدلة من السُّنة المطهرة

[١٧٠] صحيح البخاري(٨/٣٩).

باستطاعتنا توظيف أحاديث كثيرة جاء في صحيح السنة تدل على نجاة أبي طالب، ومن هو في حكمه منها:

(الحديث الأول) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»** [١٧١] .

(الحديث الثاني): عن أنس بن مالك أن النَّبيّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثاً، قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «**إِذاً يَتَّكِلُوا**» . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً » [١٧٢].

(الحديث الثالث): عن العباس أنه سأل النبي ﷺ ما ترجو لأبي طالب قال: « **كل الخير أرجو من ربي**» [١٧٣] .

(الحديث الرابع) عندما أسلم عقيل بن أبي طالب عام الفتح قال له النبي ﷺ « يَا أَبَا يزيد، إِنِّي أحبك حبين: حبا لقرابتك منى، وحبا لما أعلم من حب عمى إياك» [١٧٤] .

(الحديث الخامس) عن أم حبيبة بنت أبي سفيان... « وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ

(١٧١) صحيح البخاري (٢/ ٧١، رقم:١٢٣٧) .

(١٧٢) [صحيح البخاري (١/ ٣٧)] .

(١٧٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٦/ ٣٣٦)، تاريخ الإسلام ت بشار (١/ ٦١٢) .

(١٧٤) سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٣)، الطبقات الكبرى ط العلمية (٤/ ٣٣).

لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ»[١٧٥].

الشاهد: أن العباس بن عبد المطلب رأى أخاه أبا لهب في النوم، فسأله عن حاله فأخبره أنه في النار، لكن الله تعالى يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين، بسبب إعتاقه جاريته ثويبة، التي بشرته بميلاد النبي ﷺ فرحاً به، فجازاه الله تعالى بدل هذا الفرح بأن يخفف عنه العذاب في اليوم الذي فرح فيه بالنبي ﷺ.

فإذا خفف الله تعالى عن أبي لهب بفرحه بالنبي ﷺ مع أنه مقطوع به أنه من أهل النار، ألا يرحم أبا طالب بفرحه بالنبي ﷺ حياته كلها، ومحبته إياه، ونصرته دينه؟! واستغفار النبي ﷺ له ؟!

وقفة تأمل:

إن المتأمل في سيرة أبي طالب، مبتعداً عن التعصب والإسراع بالتكفير، وما أتينا به من أدلة على إيمان الرجل نجده :

كان مؤمناً بالله تعالى، ويشهد للنبي ﷺ بالرسالة، مصدقاً برسالة موسى وعيسى، وبالكتب التي أنزلت عليهما، مؤمناً بالبعث بعد الموت، دعوته للناس باتباع رسالة النبي ﷺ منها ما خاطب به النجاشي ملك الحبشة، ومنها ما كان لبني عبد مناف خاصة، ومنها لقريش عامة، كان مصدقاً بما رآه من إرهاصات ومعجزات دالة على نبوة النبي ﷺ، كان محباً للنبي ﷺ، مؤثراً له على النفس والولد .

(١٧٥) صحيح البخاري (٧/ ١٠، رقم:٥١٠١) .

بعد هذا نقول: إن من رأيناه دخل دائرة التوحيد بيقين لا نستطيع إخراجه منها إلا بيقين، ولا نعتمد على أدلة ظنية الدلالة، ولا نتبع التعصب الأعمى الذي يصمنا عن رؤية النور، وسماع الحق، ثم نحكم بحكم الجاهلية .

إن في مؤمن آل فرعون شبهاً من أبي طالب، فهما في الحكم سواء، ومن تجرأ على تكفيره وتكفير الوالدين لم يجرؤ على تكفير الروافض ربما إلى وقت قريب، مع فظاعة ما ارتكبه الرافضة بحق الإسلام وأهله على مر التاريخ، وكثير من أهل السنة لا يزال يظن فيهم خيرا، ولم يجرؤ على تكفيرهم، فكيف يعامل الروافض بهذا الخلق، ثم يسيء الأدب مع النبي ﷺ بنسبة أقاربه إلى الكفر بدون دليل؟!

قالوا: إنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ» فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ، وبناءً عليه حكموا على الرجل بحكمهم.

الجواب: إذا اعتبرنا الصناعة الحديثية نجد أن هذا الأثر ليس فيه دلالة على ما يقولون، ففيه: أنه مات على ملة عبد المطلب، وأن النبي ﷺ بقي يستغفر له حتى نزلت فيه الآيتان، هذه ثلاث مسائل:

(**الأولى**): وهي ملة عبد المطلب، وقد تكلمنا على هذه النقطة في بداية هذا الكتاب، ولكن ألخص ذلك: إن عبد المطلب كان على ملة إبراهيم، ولم يُرو عنه أنه سجد لصنم، وكان سيد قريش المطاع، كانوا يستسقون به لما رأوا به من النور في جبهته، وهو نور النبي ﷺ ، وقد أخبره ملك اليمن بنبوة حفيده ﷺ ، وأوصاه به، ثم إن الله أكرمه بكرامات منها حفر زمزم، ونبع الماء من تحت خف ناقته وهم عطشى في الصحراء، واستغاث بالله على جيش أبرهة فنصره الله، وكان ينهى عن الظلم وقطيعة الرحم، ويأمر بخصال كثيرة أقرها الإسلام، فهو موحد على دين إبراهيم، وأبو طالب كان يعلم أن أباه على ملة إبراهيم، فقال هو على ملة أبيه، تعمية للقوم حتى يظنوا أنه على دينهم، وهذا من المعاريض اللغوية .

أما النقطة الثانية: وهي استغفار النبي ﷺ له حتى نزل النهي .

فالجواب: استغفار النبي ﷺ لأبي طالب دليل توحيده، ولو كان مشركا لم يكن ليستغفر له، فهذا عمه أبو لهب مات كافرا فهل استغفر له النبي ﷺ ؟ ولو كانا في الحكم سواء لاستغفر له النبي ﷺ كما استغفر لأبي طالب، لكن لما فرق النبي ﷺ بينهما في الاستغفار علمنا أنهما مختلفين في العقيدة، فمن كان منهما على التوحيد استغفر له، ومن كان منهم على الشرك لم يستغفر له .

والنقطة الثالثة: وهي نزول الآيتين بحق أبي طالب .

فالجواب: إن الآية الأولى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، مدنية، نزلت في السنة التاسعة للهجرة، بعد غزوة تبوك، وأبو طالب مات في السنة العاشرة للبعثة، أي أن موت أبي طالب متقدم على نزول هذه الآية باثني عشر عاما، فكيف يقال أنها نزلت بحقه؟ فهذا لا يصح، وكما هو مقرر في علم المصطلح: أن الدليل إذا خالف الوقائع التاريخية يرد، ورد الحديث هنا ليس بتضعيفه، وإنما رده بدلالته على وروده بحق أبي طالب، فالآية نزلت في حق عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين.

قال الحافظ ابن حجر: كانَتْ وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ اتِّفَاقاً وَقِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ هَذِهِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ ذَلِكَ الِاسْتِغْفَارُ لِلْمُنَافِقَيْنِ مَعَ الْجَزْمِ بِكُفْرِهِمْ فِي نَفْسِ الْآيَةِ؟؟ فالآية لا شأن لها بأبي طالب البتة .

إن مناسبة نزول هذه الآية متعدد بحسب ما قاله المحدثون؛ منهم من جعلها في أبي طالب، وقد بيَّنا أنها نزلت بعد موته باثنتي عشرة سنة، ومنهم من جعلها بحق والدة النبي ﷺ ، وقد بينا أنها لا تصح لأنها نزلت في المنافقين، ومنهم من جعلها في آباء بعض الصحابة، فقد أورد الترمذي عن عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلاً يَسْتَغْفِرُ لأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَغْفِرُ لأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوَلَيْسَ اسْتَغْفَرَ

إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧٦) .

وهذا هو الأقرب للصواب، لأن الآية متأخرة عن موت أبي طالب، والدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال .

أما الآية الثانية: فهي في مدح أبي طالب لا في ذمه، فهي تشير إلى محبة النبي ﷺ لأبي طالب، إن كان هو المقصود بها، فقوله تعالى: «من أحببت» أي أنه ﷺ يحب أبا طالب، ومحبته إياه دليل إيمانه، وليست هي المحبة الجبلية، فالرجل يحب زوجته وأبناءه وأباه وأمه، محبة جبله الله عليها، لكن إذا كان مخالفاً له في العقيدة فلن يحبه لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فالنبي ﷺ كان يحب أبا طالب وحمزة لأنهما مؤمنان، ولكنه لم يحب أبا لهب لكفره، وكلهم أعمامه ﷺ .

هذا إن كانت نزلت في أبي طالب، لكنا نقول: إن سياق الآيات التي قبلها في معرض الكلام عن اليهود، وهي تعليق على قصة سيدنا موسى عليه السلام، فبعد أن قص الله علينا في بداية السورة عن موسى وخروجه من أرض مصر، ثم رعايته الغنم وزواجه ، وتكليم الله له وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وقومه، ثم ذهابه ببني إسرائيل إلى سيناء ونزول التوراة عليه، ثم وفاة سيدنا موسى، وذهاب التوراة بذهابه، وتحريفها، ثم

(١٧٦) سنن الترمذي (٥/١٣٢، رقم:٣١٠١) .

ناقشت الايات بني إسرائيل؛ فمن آمن منهم يؤتيه الله أجره مرتين، لتصديقه برسالة موسىٰ واعتناقه الإسلام، ثم جاءت الآية مخبرة أهل مكة أن الذي أرسل موسىٰ هو من أرسل محمداً، والذي أنزل الكتاب علىٰ موسىٰ هو من أنزل الكتاب علىٰ محمد، فليكن بنو إسرائيل عبرة لكم، وأن محمداً لا يستطيع هدايتكم، فأنتم قومه، وأنتم أحب الناس إليه، لكنكم قلتم في معرض ردكم: إنا نخشىٰ إن اتبعنا محمداً أن تعادينا العرب وترمينا عن قوس واحدة، فجاء الرد من الله: أولم أجعل مكة حرما أمناً مقدسا، لا يريدها أحد بسوء إلا قصمته، ورزقتكم من غير تعب، فثمرات ما جاوركم من البلاد تأتيكم فتشترون منها ما شئتم...الخ فالمخاطب بهذه السورة، وهذه الآيات جماعة قريش وليس أبا طالب بخصوصه، فأبو طالب لم يخش أن يتخطف من مكة .

هذه هي أهم ما قالوه بحق أبي طالب، ورأينا أنها لا دلالة فيها عليه البتة،

علماء السنة:

قضية إسلام أبي طالب مسألة اختلف فيها العلماء، قديما وحديثا، شأنهم في ذلك كباقي المسائل الخلافية، وممن قال بنجاته: الإمام تاج الدين السبكي، والسيوطي، والأجهوري، والتلمساني، واحمد بن الحسين الموصلي الحنفي، والقضاعي، والقرطبي، والشعراني، والحافظ ابن حجر، والسهيلي، والقسطلاني، والمسعودي، وأشياخنا الشيخ عبد الكريم المومني الحسيني، والشيخ عبد الكريم عرابي الحسني، وآل البيت، وجمهور الصوفية وغيرهم.

فالأمر مختلف فيه، وليس مقطوعاً به، مع أن أدلة القائلين بالنجاة راجحة، وهو ما أميل إليه، وأقول به، وألقى الله تعالى عليه، وقد صنف عدد من العلماء في هذه المسألة تواليف كثيرة، سواء من السنة أو من الشيعة، وهذه جملة من مؤلفات علماء أهل السنة، القائلين بنجاته:

(١) أبو طالب عم الرسول: لمحمد كامل حسن المحلمي، طبع ضمن سلسلة عظماء الاسلام التي يصدرها المكتب العالمي ببيروت.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش: للأستاذ الأديب الشيخ عبد الله بن علي الخنيزي القطيفي المولود سنة (١٣٥٠ هـ)، مطبوع عدة مرات .

(٣) إثبات إسلام أبي طالب: لمحمد معين بن محمد أمين بن طالب الله الهندي السندي التتوي الحنفي، المتوفى سنة (١١٦١ هـ).

(٤) أخبار أبي طالب وولده: للعلامة الحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري (١٣٥ - ٢١٥) هـ.. قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠: ٤٠٠: " كان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقا فيما ينقله، عالي الاسناد .

(٥) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: للعلامة أحمد زيني دحلان، الفقيه الخطيب مفتي الشافعية (١٢٣٢ - ١٣٠٤ هـ) اختصر فيه كتاب " بغية الطالب لإيمان أبي طالب " للعلامة محمد بن رسول البر زنجي الآتي ذكره، وأضاف عليه مطالب مهمة، طبع بمصر سنة (١٣٠٥ هـ)، وبعدها مكررا.

(٦) إيمان أبي طالب: لأحمد بن القاسم، قال عنه النجاشي في رجاله: ٩٥: " رجل من أصحابنا رأينا بخط الحسين بن عبيد الله كتابا له في إيمان أبي طالب ".مات سنة (٤١١)هـ.

(٧) إيمان أبي طالب: للشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد ابن طرخان الجر جرائي الكاتب، قال عنه النجاشي في رجاله: ٨٧: " ثقة، صحيح السماع .

(٨) إيمان أبي طالب: للشيخ الرجالي أبي علي أحمد بن محمد بن عمار الكوفي المتوفى سنة (٣٤٦ هـ) .

(٩) إيمان أبي طالب: للفقيه المتكلم السيد الجليل أبي الفضائل جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر ابن طاوس العلوي الحسني ، المتوفى سنة (٦٧٣ هـ).

(١٠) إيمان أبي طالب: للشيخ المحدث الجليل أبي محمد سهل بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سهل الديباجي البغدادي (٢٨٦ - ٣٨٠ هـ).

(١١) إيمان أبي طالب: لأبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي، المتوفى سنة (٣٧٥ هـ)

(١٢) إيمان أبي طالب وأحواله وأشعاره: للميرزا محسن بن الميرزا محمد المعروف (بالمجتهد) القره داغي التبريزي، من أعلام القرن الثالث عشر.

(١٣) إيمان أبي طالب: للشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن محمد ابن النعمان المتوفى سنة (٤١٣)هـ.

(١٤) بغية الطالب لإيمان أبي طالب: ينسب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي، المتوفى سنة (٩١١ هـ)، توجد نسخته في مكتبة قوله بمصر، ضمن مجموعة برقم (١٦)، تاريخها (١١٠٥ هـ).

(١٥) بغية الطالب في إسلام أبي طالب: للعالم الجليل المفتي السيد محمد عباس بن السيد علي أكبر الموسوي التستري اللكهنوي .

(١٦) بغية الطالب في بيان أحوال أبي طالب، وإثبات إيمانه وحسن عقيدته: محمد بن حيدر بن نور الدين الحسيني ، فرغ منه سنة (١٠٩٦)هـ .

(١٧) بغية الطالب لإيمان أبي طالب: للعالم محمد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي الشهر زوري المدني (١٠٤٠)هـ.

(١٨) البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي صلى الله عليه وآله وعليهم، لأبي الحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي.

(١٩) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: للعالم الفقيه السيد شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي، المتوفى سنة (٦٣٠ هـ)، كتاب قيم، طبع عدة مرات.

(٢٠) ديوان أبي طالب وذكر إسلامه: لأبي نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي، المتوفى سنة (٣٧٥ هـ).

(٢١) الرغائب في إيمان أبي طالب: للعلامة السيد مهدي بن علي الغريفي.

(٢٢) شعر أبي طالب بن عبد المطلب وأخباره: للأديب الشاعر أبي هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي، من شيوخ ابن دريد الأزدي المتوفى سنة (٣٢١هـ).

(٢٣) الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب: للعلامة الحجة الشيخ الميرزا نجم الدين جعفر الشريف ابن الميرزا محمد بن رجب علي الطهراني العسكري (١٣١٣ - ١٣٩٥ هـ)، مخطوط.

(٢٤) شيخ الأبطح: للعلامة الفاضل السيد محمد علي بن آل شرف الدين.

(٢٥) شيخ بني هاشم: للفاضل عبد العزيز سيد الأهل، طبع سنة (١٣٧١)هـ.

(٢٦) فصاحة أبي طالب: للسيد الشريف أبي محمد الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأطروش.

(٢٧) فضل أبي طالب و عبد المطلب وأبي النبي صلى الله عليه وآله لشيخ الطائفة وفقيهها أبي القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري المتوفى سنة (٢٩٩)هـ.

(٢٨) فيض الواهب في نجاة أبي طالب: للشيخ أحمد فيضي ابن الحاج علي عارف بن عثمان بن مصطفى الجورومي الحنفي، المتوفى سنة (١٣٢٧)هـ.

(٢٩) القول الواجب في إيمان أبي طالب: للعلامة الشيخ محمد علي ابن الميرزا جعفر علي الفصيح الهندي، نزيل مكة، فرغ منه في جمادى الأولى سنة (١٢٩٩) هـ.

(٣٠) مقصد الطالب في إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وعمه أبي طالب: للميرزا شمس العلماء محمد حسين بن علي رضا الرباني الجرجاني المشهور بجناب، طبع في بومباي سنة (١٣١١) هـ.

(٣١) منى الطالب في إيمان أبي طالب: للشيخ أبي سعيد محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري.

(٣٢) منية الراغب في إيمان أبي طالب: للعلامة الشيخ محمد رضا الطبسي.

(٣٣) منية الطالب في إيمان أبي طالب: للسيد الجليل حسين الطباطبائي اليزدي مطبوع

(٣٤) منية الطالب في حياة أبي طالب: للسيد حسن بن علي بن الحسين القبانجي الحسيني ، ألفه سنة (١٣٥٨)هـ .

(٣٥) مواهب الواهب في فضائل أبي طالب: للعلامة البارع الشيخ جعفر بن محمد النقدي التستري المتوفى سنة (١٣٠٣)هـ.

(٣٦) الياقوتة الحمراء في إيمان سيد البطحاء: للسيد الفاضل طالب الحسيني آل علي خان المدني، معاصر، والكتاب في مقدمة وثمانية فصول، وما يزال مخطوطا عنده.

(٣٧) السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب، أبو الهدى محمد أفندي الصيادي الرفاعي المتوفى سنة (١٣٢٧) هـ.

(٣٨) غاية الطالب في بحث إيمان أبي طالب، للسيد علي كبير بن علي الحسيني الهندي، المتوفى سنة (١٢٨٥) هـ .

(٣٩) أبو طالب بطل الإسلام، تأليف السيد جعفربن محمد الباعلوي.. معاصر.

(٤٠) تحقيق الرغائب في إيمان أبي طالب، عبد الله محمد عكور، معاصر .

وقد قام عبدالله صالح الموسوي المنتفكي، بجمع المؤلفات التي صنفت في أبي طالب تحت عنوان: معجم المؤلفات في أبي طالب، نشرها في مجلّة المرشد «عدد خاص» العددان (٢١ ـ ٢٢)، سوريا ـ دمشق، (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م)، بلغت (١٦٠) مصنفاً لعلماء من أهل السنة، والشيعة، وهي ما بين مخطوط ومطبوع .

أثر العوامل السياسية على الحديث:

بعد تسلم بني أمية الحكم، استعملوا أمراء ظلمة، امتحنوا الناس في موالاتهم لآل البيت، وبالأخص سيدنا علي رضي الله عنه، فمن وجدوه محباً له عاقبوه إما بالقتل، أو الجلد، أو العرقبة، وغير ذلك من وسائل التعزير، حتى يستقيم لهم الملك، وقد اضطر كثير من المتقدمين إلى التقيَّة، بمجاراتهم أهل الشوكة والسلطان والعصبية، لتسلم نفوسهم من القتل، وأعضاؤهم من القطع، وأجسادهم من التعذيب، وأبشارهم من التمزيق، وشعورهم من المواسي «الحلق»، وأرجلهم من العرقبة والقيود، وبيوتهم من الهدم، وأراضهم من الهتك، وعدالتهم من الجرح والاتهام بالتشيع، فممن قتلوه :

الصحابي حُجر بن عدي: لأنه أنكر على بعض أمراء الجور بسبِّ سيدنا علي، قال الحافظ ابن حجر: شهد الجمل وصفّين وصحب عليا، فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء، بأمر معاوية وكان حجر هو الّذي افتتحها، فقدّر أن قتل بها [١٧٧] .

الحافظ النَّسائي: صاحب كتاب السنن، شهدوا له بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد وإقامته السنن المأثورة، واحترازه عن مجالس السلطان، وإن ذلك لم يزل دأبه إلى أن استشهد.

قال الحاكم: "سمعت علي بن عمر الحافظ غير مرة يقول: أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وقال مرة: سمعت علي بن عمر يقول: النسائي أفقه مشائخ متصوفي عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم وأعلمهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه، فخرج إلى الرملة فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه

(١٧٧) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٢) .

فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة فأخرجوه وهو عليل، وتوفي مقتولا شهيدا .

وقال الدارقطني أيضا: كان أبو بكر بن الحداد الفقيه كثير الحديث ولم يحدث عن أحد غير أبي عبد الرحمن النسائي فقط، وقال رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى .

وقال أبو بكر المأموني: سألته عن تصنيفه كتاب "الخصائص" فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، وصنف كتاب "الخصائص" رجاء أن يهديهم الله، ثم صنف بعد ذلك كتاب "فضائل الصحابة" وقرأها على الناس، وقيل له وأنا حاضر ألا تُخرج فضائل معاوية؟ فقال أي شيء أخرج؟ اللهم لا تشبع بطنه؟ وسكت وسكت السائل ... [١٧٨] وممن جلد :

التابعي: عطية العوفي، قاتل مع سيدنا علي في صفين وغيرها.

قال ابن سعد: كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيِّ أَنِ ادْعُ عَطِيَّةَ العوفي فَإِنْ لَعَنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَّا فَاضْرِبْهُ أَرْبَعَمِائَةِ سَوْطٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ، فَدَعَاهُ فَأَقْرَأَهُ كِتَابَ الْحَجَّاجِ فَأَبَى عَطِيَّةُ أَنْ يَفْعَلَ، فَضَرَبَهُ أَرْبَعَمِائَةٍ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ، ... وَكَانَ ثِقَةً إِنْ شَاءَ اللهُ وَلَهُ أَحَادِيثُ صَالِحَةٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَحْتَجُّ بِهِ [١٧٩] .

قال الحافظ ابن حجر: قال أبو داود: ليس بالذي يُعتمد عليه، قال أبو بكر البزار: كان يعده في التشيع، روى عنه جلة الناس، وقال الساجي: ليس بحجة، وكان يقدم

(١٧٨) تهذيب التهذيب (١/ ٣٨) .

(١٧٩) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٦/ ٣٠٤) .

عليا على الكل [١٨٠] . انظر كيف عامله علماء الجرح والتعديل، ضعفوه، واتهموه بالتشيع، لأنه كان يحب علياً، وأبى أن يسبه ، وممن عرقبوه[١٨١]:

مصدع المعرقب: مولى عبد الله بن عمر، وهو من رجال مسلم والأربعة، قيل له المعرقب لأن الحجاج أو بشر بن مروان عرض عليه سب علي فأبى فقطع عرقوبه، قال بن المديني قلت لسفيان: في أي شيء عُرقب؟ قال في التشيع، ذكره الجوزجاني في الضعفاء فقال: زائغ جائر عن الطريق يريد بذلك ما نُسب إليه من التشيع، والجوزجاني مشهور بالنصب والانحراف، فلا يقدح فيه قوله، وقال بن حبان في الضعفاء: يخالف الاثبات في الروايات وينفرد بالمناكير [١٨٢]. انظر كيف اتهموه بالزيغ والانحراف والتشيع، وانفراده بالمناكير، لأنه كان يُحب علياً .

وممن عرقبوه عمار الدهني [١٨٣] قَال علي بْن المديني عَن سفيان: قطع بشر بْن مروان عرقوبيه، فقلت: فِي أي شيء؟ قال: فِي التشيع . بل بلغ ببعضهم تركيب الأسانيد للنيل من آل البيت، وأوردوا أحاديث في تعذيبهم، فزعموا أن القبر ضغط السيدة زينب والسيدة رقية وسيدنا القاسم ، أبناء رسول الله ﷺ ، ضغطة سمعها من بين الخافقين غير الإنس والجن، مع أن القاسم مات طفلاً لم يجر عليه قلم، ثم إنه من الكذب بما لم يصدقه العقل، فما هي قوة صوت طفل، أو امرأة محبوسة في قبرها حتى تبلغ المشرق

(١٨٠) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٦) .

(١٨١) عرقبوه: أي قطعوا عرقوبه وهو العصب الغليظ فوق عقب الإنسان، إذا قُطع لا يستطيع تحريك القدم.

(١٨٢) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٨) .

(١٨٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢١/ ٢١٠) .

والمغرب؟!! لذلك تجد فضائل آل البيت إما مطموسة، أو مشوهة، ومن أَلَّف فيهم يتهمونه بالتشيع، ويردون روايته، فلا غرابة أن تلعب السياسة دورها في طمس الحقائق، ويوجد من علماء السلاطين من يمشي على سياستهم .

وآخر دعوانا؛ أن الحمد لله رب العالمين

تمهيد ١٦

الرَّوضَةُ الأولى ٢٥

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين﴾ {الشعراء:٢١٩} ٢٥

وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين ٢٧

الحقيقة المحمدية ٢٨

رؤيا السيدة آمنة : ٣٢

خيرية هذا النور : ٣٥

أخذ الميثاق على الأنبياء : ٣٦

كتابة اسمه في الملكوت: ٣٦

اقتران اسمه مع اسم الله تعالى: ٣٧

دعو أبينا إبراهيم : ٣٨

إعلام الله به إبراهيم : ٣٨
إعلام الله به يعقوب : ٣٩
إعلام الله به موسى : ٣٩
بشارة عيسى بن مريم : ٤٠
شرف نسبه : ٤١
صيانة هذا النور من دنس الجاهلية: ٤٢
سلسلة الآباء الشريفة ٤٣
تراجم الآباء الشريفة ٤٥
اعتمدت في هذه التراجم كتب السير والطبقات، وتوسعت بتراجم البعض،
وأوجزت القول في البعض الآخر، حسبما توفر لي من التراجم، وأبدأ بـ : ٤٥
السيد الوالدُ عبدُ الله عليه السلام : ٤٥
الذَّبيحـان: ٤٧
وفاة سيدنا عبدالله : ٤٩
السيدة الوالدة رضي الله عنها ٥٠
نسبها : ٥٠
وفاتهـا : ٥٢
عبد المُطَّـلب ٥٥
رؤيا عبد المطلب : ٥٦

بشارة ملك اليمن : ٥٧
حفـر بـئر زمـزم : ٦١
عبد المطلب وأبرهة : ٦٢
عبد المطلب يستغيث بالله : ٦٤
قريش تستسقي بعد المطلب : ٦٥
عبد المطلب على ملة إبراهيم : ٦٧
هاشـــم: ٦٨
عـبد منـاف : ٧٠
قصـيّ : ٧١
كِـــــلاب : ٧٥
مُـــــرَّة : ٧٥
كعـــب : ٧٦
لـــؤي : ٧٧
غـــالب: ٧٨
فِـهْـــر : ٧٨
مـــالك : ٧٩
النَّـضِـــر: ٧٩

كِـنانـة: ٨٠
خُزيمــة: ٨٠
مُـدركــة : ٨١
إلـيـــاس : ٨٢
مُضـــر : ٨٢
نـــزار : ٨٦
معـــدّ : ٨٦
عـدنـــان : ٨٨
خلاصة رجال السلسلة: ٨٨
الكـــلام على آزر: ٩٠
والد إبينا ابراهيم: ٩١
وخلاصة الأمر: ٩٣
التكليف الشَّرعي ٩٧
(أولاً) العقل : ٩٨
(ثانياً) البلوغ : ٩٩
(ثالثاً) سلامة الحواس : ١٠٠
(رابعاً) بلوغ الدعوة : ١٠٠

أهـلُ الـفــترة ١٠٠
الوالدان الكريمان ١٠٣
أدلة الكتاب العزيز ١٠٣
أقـوال الـعلماء في عبد المطلب ١٢٤
طهارة النسب دليل التوحيد ١٢٨
الأدلة من السنة المطهرة ١٢٩
الأدلة من الإجماع ١٣٤
عمر بن عبد العزيز يهمُّ بقتل من أساء الأدب: ١٣٥
محنة وكيع الجراح شيخ الشافعي : ١٣٥
فتوى علماء الأندلس بقتل فقيه : ١٣٧
فتوى فقهاء القيروان بقتل الفزاري : ١٣٧
فتوى القاضي ابن العربي: ١٣٨
الحافظ القسطلاني: ١٣٨
الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: ١٣٩
الإمام القرطبي: ١٣٩
الإمام الالوسي : ١٤٠
الإمام ابن حجر الهيتمي: ١٤٠

شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي : ١٤١
شرف الدين المناوي: ١٤١
العلامة ابن عابدين : ١٤١
الإمام الزرقاني : ١٤٣
العلامة الباجوري : ١٤٣
العلامة محمد عبد الله الجرداني الشافعي : ١٤٤
الإمام فخر الدين الرازي: ١٤٥
قال الأستاذ محمد آل رشيد: ١٤٧
رجوع ملا علي القاري عن قوله: ١٤٨
الإمام الكوثري: ١٥٠
الإمام محمد مرتضى الـزَّبيدي: ١٥١
الشيخ مصطفي أبو سيف الحمامي : ١٥١
وهبي سليمان غاوجي: ١٥٢
فتوى دار الإفتاء المصرية: ١٥٢
أولاً: رواية ابن شاهين : ١٨١
ثانياً: رواية الحافظ الطبري : ١٨٢
ثالثاً: رواية السهيلي : ١٨٢

رابعاً: رواية الخطيب البغدادي : ١٨٣
خامساً: رواية ابن عساكر: ١٨٤
تخريج الحديث ١٨٤
(المسألة الأولى) أسس الدعوة في مكة : ١٩٨
(المسألة الثانية) تعريف الإسلام والإيمان: ١٩٨
(المسألة الثالثة) موجز حياة أبي طالب وسيرته: ٢٠٠
موت أبي طالب: ٢١٢
وقفة تأمل: ٢٢٧
علماء السنة: ٢٣٢
أثر العوامل السياسية على الحديث: ٢٣٨